الفصل الرابع

- الحياة الاجتماعية :
- عناصر السكان .
- طبقات المجتمع .
- مظاهر العمران .
- الديانات .
- العادات والتقاليد .
- الحياة الثقافية :
- اللغة والأدب .
- النشاط العلمي في أربيل .
- علم الطب والصيدلة .
- الفنون .

عناصر السكان :-

الفـــرس :

حينما أقدم المسلمون على فتح أذربيجان كان الفرس هم السكان الأصليون ويشكلون أغلبية فيها ، إضافة إلي ما كان بها من بعض العناصر الأخرى التي شكلت مع الفرس النسيج الاجتماعي بالبلاد ، ولأن الزرادشتية أو الزراتشتية كان منشؤها أذربيجان (١) فكان من الطبيعي أن تنتشر بين أهل أذربيجان ، وأن يدين بها غالبية السكان إلا ما كان من انشقاق بعض الطوائف مثل المزدكية والمانوية (٢) .

وحينما دخل الإسلام أذربيجان تسابق الناس إلي الدخول فيه لما وجدوا فيه من سماحة وعدل ، وسمي هؤلاء بالموالي ، وتمتعوا بحق المواطنة الكاملة ، والحرية المطلقة في ممارسة شعائرهم وحياتهم طبقاً لما اعتادوا عليه سابقاً ، وكانوا يأتون في المرتبة الثانية على سلم الترتيب الاجتماعي بعد العرب المسلمين اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً ، ولم يكن مصدر هذا التفريق شيئاً في الفكرة الإسلامية ولا في طبيعتها ونصوصها وإنما كان من إيحاء الحياة العملية المنحرفة ، سواء فيما أحس به بعض العرب المسلمين من الاستجابة

---

(١) الدينوري ، الأخبار الطوال، ص ٢٥ ؛ المسعودي ، مروج الذهب ، جـ١ ، ص ١٩٦ ؛ الثعالبي ، شاهنامه ثعالبي ، ترجمة محمود هدايت ، (د.ب.ن) ، ص ١١٨ ، ١١٩ ، مري بويس وآخرون ، دياثت زراتشت ، ترجمة فريدون وسمن ، ١٣٤٧ هـ ش ، ص ٩٩ – ١١٧ ؛ محمود أميد سالار ، مراجعة كتاب بايكاه ايراني دين زرتشت ، تأليف مري بويس ، مجلة إيران شناس ، سال جهارم ، شماره ٣ ، تابستان ٣٧١ / ١٩٩١ هـ ش،ص٤٠٧ – ٤٠٩ .

Shoukat sabzwart : Dhal, sound in persian , Islamic cultur, Vol. XXX II, No. 3 . July 1958, P. 214 .

(٢) المانوية : نسبة إلي ماني الذي ولد سنة ٢١٥ أو ٢١٦م وجاء بعبادة جديدة تقوم على الثانوية في كل شيء مثل النور والظلمة ، وحاول التوفيق بين المسيحية والوثنية ، وللمزيد انظر : المسعودي ، مروج الذهب ، جـ١ ، ص ٢١٦ – ٢١٧ ؛ ابن النديم ، الفهرست ، ص ٤٥٦ – ٤٥٧ ؛ ذ. بهروز ، تقويم وتاريخ در ايران آز رصد زرتشت تارصيد خيام زمان مهروماني ، تهران ، (د.ت) ، ص ١١١ – ١١٣ ؛ محمد محمدي ، فرهنك ايران وتأثيرات در تمدن إسلام و عرب، تهران ، ١٣٢٣ هـ ش ، ص ١٧٨ – ١٨١ ؛ حسن بيرينا ، إيران قديم ، مختصر تاريخ إيران تا انقراض ساسانيات ، ط تهران ، ١٣٠٨ هـ ش ، ص ٢٥٨ .

للسيطرة ، أو فيما وجدوا من فضلهم في حمل الإسلام ونشره ، أو فيما ساعد عليه بعض الموالي من الاعتراف بهذه اليد (١).

أما من بقي على ديانته السابقة منهم فقد دخل في ذمة المسلمين ، وتمتعوا بما كفلته لهم الشريعة الإسلامية من حرية وتسامح ، وانخرطوا في الحياة العامة بلا تعصب أو اضطهاد (٢).

وقد حدث اختلاط كبير بين الفرس وبقية عناصر السكان في أذربيجان (٣) وامتد هذا الاختلاط إلي بقية الدولة الإسلامية حيث ترك الفرس بصفة عامة أثرهم الكبير على جميع النواحي ، ليس في أذربيجان وحدها بل في معظم مدن خراسان وامتد إلي الخلافة العباسية التي اصطبغت بلون فارسي يري بالعين المجردة (٤).

التـــرك :

كان الترك (٥) يمثلون الفئة الثانية من عناصر السكان في أذربيجان ، وهم يتواجدون في أذربيجان منذ أقدم العصور (٦) وقد ساعد على ازدياد أعدادهم في أذربيجان الأعداد الكبيرة من ترك الخزر الذين أتوا إليها عن طريق ممالك الشمال التي تقع في جبال

---

(١) شكري فيصل ، المجتمعات الإسلامية في القرن الأول ، ط بيروت ، (د.ت) ، ص ١١٢ – ١١٣ .

(٢) حسين دويدار ، أدل الذمة في العصر الأموي ، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية ، الإمارات العربية ، العدد الخامس ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م ، ص ١٦٢ – ١٧٢ .

(3) Edward.I. farmer : Comaparative History of civilization in Asia , P. 495 .

(٤) إبراهيم أيوب ، التاريخ العباسي السياسي والحضاري ، ص ٢٤٩ ؛ حسين مجيب المصري ، أثر الفرس في الحضارة الإسلامية ، ص ١٨٤ .

(٥) ظهر اسم الترك في القرن السادس الميلادي ، حيث كونوا لأنفسهم إمبراطورية واسعة امتدت من منغوليا وحدود الصين الشمالية إلي البحر الأسود ، وهم من أصل الهياطلة نسبة إلي هيطل بن سام بن نوح ، وتوجهوا إلي بلاد النهر وسيطروا عليها . وللمزيد انظر: ابن النديم، الفهرست،ص ٢٩؛النمري ، القصد والأمم ، ط ليدن ، ص ٣٣ ، المسعودي ، سبائك الذهب ، ط بغداد ، ١٢٨٠هـ ، ص ١٠ ؛ الحسن بن عبد الله ، آثار الأول في تحطيط الدول ، ورقة ١١٤ ؛ رمزي رمضان ، بلاد ما وراء النهر ، ص ١٣١ – ١٣٣ ؛ نقولا زيادة ، المشرق الاسلامي في القرن الثالث والرابع الهجري ، مجلة دراسات تاريخية ، العدد ٨ ، أبريل ١٩٨٢ ، ص ١٣٣ – ١٣٥ .

(٦) حسين مجيب المصري ، صلات بين العرب والفرس والترك ، ص ٢٧٣ .

Edward · op. cit, P. 495 .

القوقاز لا سيما مملكة السرير (١) وقبل الإسلام اعتنق غالبية الترك الزرادشتية . وقلة منهم دانت المسيحية ، ومع دخول الإسلام سارع الزرادشيتون في الإقبال عليه . أما المسيحيون فقد نظر غالبيتهم إلي الإسلام نظرتهم إلي دين قوم يشتركون معهم في الأصل السامي واللغة السامية ، على الرغم من أنهم كانوا يفضلون العرب على أتباع عبادة النار (٢).

وقد عاش الترك في آسيا الوسطى والقوقاز وأذربيجان كطائفة عرقية تطلب السلم والسلام . ولم يكن لهم دور كبير في الحياة العامة ولكن ومع نهايات العصر العباسي الأول بدأت تظهر ملامحهم على وجه الدولة العباسية بفضل ما عرف عنهم من الشجاعة والقوة البدنية حيث استعان بهم الخليفة المعتصم واستكثر منهم إلي أن أصبح لهم السطوة والبطولة في الحياة العامة والسياسية للدولة العباسية (٣).

العـــــرب :-

ارتبط الوجود العربي في أذربيجان بالفتح العربي الإسلامي لها ، وإن كانت هناك هجرات محدودة من العرب الذين انساحت جموعهم في خراسان منذ عهد الأكمينيين وعاشوا بها وامتزجوا بأهلها (٤).

ومنذ الفتح الإسلامي لأذربيجان بدأ العرب يتفاطرون عليها ويستقرون بها ، وكان يتعاقب على أذربيجان سنوياً ستة آلاف جندي من الجنود العرب المرابطين ، يستبدلون بغيرهم سنوياً منذ عهد الخلفاء الراشدين (٥).

---

(١) ابن الوردي ، خريدة العجائب ، ص ٨٦ ، ابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ، ص ٢٩٦
Savory : Islamic civilization , P. 80 .

(٢) حسين محيب المصري ، صلات بين العرب والفرس والترك ، ص ٢٨٢ ـ ٢٨٣

(٣) إبراهيم أيوب ، التاريخ العباسي والسياسي والحضاري ، ص ٢٥٠ .

(٤) حسين عبد الباسط ، الصلات السياسية بين العرب والفرس قبل الإسلام ، ص ٣٠

(٥) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، جـ٢ ، ص ٥٩١ ـ ٥٩٢

وفي عهد عثمان بن عفان طهرت بصمات الأشعث بن قيس بصورة جلية حيث قام بإسكان مجموعات كبيرة من العرب في أذربيجان ، ووفر لهم سبل المعيشة وبني مسجداً لهم (١) وفي عهد علي بن أبي طالب هاجرت أعداد غفيرة من العرب القاطنين في مديني البصرة والكوفة إلي أذربيجان ، واستقروا بها ، وقد عملوا في مجال الزراعة واستصلاح الأراضي (٢).

وقد شهدت أذربيجان تدفقاً وازدياداً في أعداد المهاجرين العرب إليها خلال العصر العباسي الأول ، حيث كان أول فوج هاجر إلي أذربيجان سنة ١٣٤هـ / ٧٥١م ، حينما قام يزيد بن أسيد السلمي وخلفه يزيد بن حاتم المهلبي بنقل أعدادٍ كبيرة من البصرة ، وتوزيعهم على المناطق المختلفة من أذربيجان (٣) .

وفي عهد أبي جعفر المنصور ، قام الوالي يزيد بن أسيد بتوطين أعدادٍ أخرى فيها (٤) وفي عهد هارون الرشيد هاجرت أعداد أخرى إلي أذربيجان وأقامت واستقرت بها وتم ذلك في ولاية يوسف بن راشد السلمي ، وسار الفضل بن يحيى البرمكي على نهج سلفة يوسف ، وقام بإسكان مجموعات أخرى إلي الشمال من أذربيجان (٥) .

وهناك من اضطرته الظروف السياسية والاقتصادية إلي الهجرة إلي أذربيجان ومن ذلك الهجرة الكبيرة العدد من الموصل سنة ١٨١ هـ / ٧٩٧ م (٦) .

---

(١) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣٢٤ ــ ٣٢٥

(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣٢٤ ــ ٣٢٥ ؛ ابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ، ص ٢٨٤

(٣) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، جـ٢ ، ص ٣١٧ ؛ صابر محمد دياب ، أرمينية من الفتح الإسلامي الي مستهل القرن الخامس الهجري ، ص٧٠

(٤) الدوري ، الأزمن عبر التاريخ ، ص ٣٠٢ ــ ٣٠٣ .

(٥) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، جـ٢ ، ص ٤٢٦ .

(٦) الأزدي ، تاريخ الموصل ، جـ٢ ، ص ٢٨٧

ولما هاجر العرب إلي أذربيجان امتزجوا بسكانها الأصليين ، وتدفقت دماء جديدة إلي النسيج الاجتماعي المكون لها ، ولم يعش العرب بمعزل عن شئون الحياة ولا عناصر السكانى (١).

ويجب أن نعلم أن بداية وصول العرب المهاجرين إلي أذربيجان وغيرها من المدن المفتوحة كان يحدث في بداية الأمر من خلال الفتوح بحيث يبعث الخليفة إلي المدن والقبائل العربية يستنصرها ويرغبها في الجهاد ، فتتوافد عليه الجموع من كل حدب وصوب فيصرفها في الوجهة التي يري ، ويمد بها الجيوش التي تحتاج إلي المدد وفق ما يصله من قواد الجيوش وما يكتبون به إليه ، ولم يخرج العرب إلي الفتوح في نطاق القبيلة ولم تكن الراية التي تجمعهم تعتمد هذا الطابع القبلي ، إنما كانوا يخرجون طلباً للجهاد إذ لم يسعهم إلا الحرب ونشر الدعوة ، وحينما كانت كثرة من جيش ما تنتمي إلي قبيلة واحدة فإن ذلك كان يؤدي – بما فطر عليه الناس – إلي انحياز أفراد هذه القبيلة إلي بعضهم البعض (٢).

وما من شك أن الاختلاط في الخروج للفتوح ، وفي الفتوح ذاتها سينتهي إلي نوع من الاختلاط أعمق مدي وأبعد أثراً حين تستقر جيوش الفتح ، أو حين تأخذ حظها من الراحة في المعسكرات أو المدن ، فإن روح القبيلة تتضاءل شيئاً فشيئاً ، ويحدث الامتزاج ، ومما يؤيد ذلك أن التاريخ لم يسجل لنا حدوث أي صراع أو نزاع بين أفراد القبائل العربية المهاجرة أو حتى بين العرب وسكان أذربيجان الأصليين ، ونخلص من ذلك أن أذربيجان

(١) حسن أحمد محمود ، العالم الإسلامي في العصر العباسي ، ص ٢٢٣ ، ٢٥٦
(٢) شكري فيصل ، المجتمعات الاسلامية في القرن الأول ، ص ٣٥

قد احتوت عناصر السكان ، ودابت فيها الأعراق والأنساب وتشكل بها شعباً واحداً متعدد الأعراق والأصول (١).

وبالإضافة إلي ما سبق فقد وجدت عناصر أخرى من السكان التي عاشت في أذربيجان وإن كانت بنسب ضئيلة مثل الأكراد (٢) والكرج والأرمن بحكم الجوار أو التجارة والذين قد يجمعهم النسب والعرق مع عناصر السكان في أذربيجان (٣) علاوة على نسب عرقية بسيطة من البلغار والروس ، والذين يرتبطون مع أذربيجان بروابط تجارية (٤).

طبقات المجتمع في أردبيل :-

الطبقة الحاكمة :

وتضم هذه الطبقة أعضاء الجهاز الإداري في أذربيجان ، والذي امتدت سلطاته إلي خارج حدودها لتشمل في بعض الأحيان منطقة أرمينية والجزيرة الفراتية ، وكان يأتي على رأس الجهاز الإداري الوالي ، الذي تباينت مهامه وسلطاته في العصور الإسلامية ما بين الزيادة والنقصان ، ففي فترة الخلفاء الراشدين ، كانت أذربيجان ومسئولية حكمها ، ضمن مهام ومسئوليات والي الكوفة ، والذي كان غالباً ما ينيب عنه من يدبر شئونها (٥).

---

(١) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، جـ٢ ، ص ٤٢٦ .
Edward : Comparative History of civilization in Asia, P. 494 – 495 .

(٢) الحسن بن عبد الله ، آثار الأول في ترتيب الدول ، ورقة ١١٦ ؛ القلقشندي ، صبح الأعشى ، جـ٤ ، ص ٣٧٤ ، ٣٧٧ ؛ أقاي رشيد قاسمي ، كرد وبيوستكي ثرادي وتاريخي اد ، حاب دوم ، ص ١٧٧ – ١٧٨ .

(٣) العبد لاني،تحفة الكرام في ذكر بعض الخلائق العظام ، مخطوط بمكتبة الإسكندرية ، تحت رقم ٢١٧٧ / د تاريخ ، ورقة ٧ ، إسماعيل على ، التعبئة الأرهرية في تخطيط الكرة الأرضية ، ص ٤٨٨ .

(٤) الكسندر سيبل ، أخبار أمم المجوس من الأرمان وورنك والروس ، ط بغداد وأوسلو ١٩٢٨ م ، ص٤٩ – ٥٢ ، بارتولد ، معرفة العرب بالروس ، تعريب صلاح الدين هاشم ، مجلة دراسات ، تصدر عن الجامعة الأردنية ، المجلد الرابع عشر ، العدد العاشر ، ١٩٨٧ ، ص ٩ وما بعدها

(٥) شكري فيصل ، حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول ، ص ١٤٩

وفي العصر الأموي كانت أذربيجان ضمن ولاية أكبر جغرافياً ، فقد وقعت ضمن ولاية الجزيرة وأرمينية وأذربيجان ، وإن كان الوالي يباشر مهام ولايته من أذربيجان ذاتها حيث وضع بها الأمويون الحاميات العسكرية وأقيمت بها داراً للإمارة وخزانة الدواوين بالمنطقة [١] وقد جمعت ضمن الجزيرة وأرمينية مثلما حدث في ولاية محمد بن مروان [٢] وقد استمر هذا الوضع في عصر الدولة العباسية [٣] بل تعاظم دور أذربيجان إدارياً وعسكرياً ، وعلا نجم ولاتها وقادتها في فترة الحرب مع الخرمية [٤] .

ثم يأتي بعد ذلك الجهاز الإداري المعاون للوالي ، والذي ضم صاحب الشرطة وصاحب البريد وصاحب الخراج ، ومن ناب عن الوالي في إدارة المدن والقرى الصغيرة والقواد ورجال الحاشية [٥].

وللوالي في أذربيجان سلطة كبيرة في إدارة شئون ولايته سياسياً والتحكم في مواردها اقتصادياً ، وقد تصل هذه السلطة في بعض الأحيان إلى انعدام الرقابة عليها وإطلاق أيديهم فيها لصلة لقرابة من الخليفة ، مثلما حدث عندما تولي محمد بن مروان أخو الخليفة عبد الملك بن مروان ، ومسلمة بن عبد الملك فترة حكم أخويه الوليد وسليمان ومروان بن محمد ، فقد استغل محمد بن مروان سلطته في الاستيلاء على دخل بحيرة الطريخ حيث أوقف إنتاجها من السمك عليه وحده بعد أن كانت مباحة للناس جميعاً وعين عليها من يصطاد السمك ويبيعه ويقبض هو ثمنه ، ثم صارت من بعده لابنه مروان بن

---

(١) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٢٩٥ ؛ الحموي ، معجم البلدان ، مجـ١ ، ص ١٢١ ـ ١٢٢ ؛ لي استرنج ، بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٢٠٣

(٢) ابن الأثير ، الكامل ، جـ٥ ، ص ٧٠ ؛ سعيد الديوه جي ، تاريخ الموصل ، ص ٤١

(٣) ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص ٢٩٥ ، الحموي ، معجم البلدان ، مجـ١ ، ص ١٢١ ـ ١٢٢

(٤) تم تفصيل دور أردبيل في مقاومة الخرمية

(٥) ابراهيم أيوب ، التاريخ العباسي السياسي والحضاري ، ص ٢٥٤

محمد . ثم قبضت مع ضياع بني أمية وصارت إلي أملاك الخلفاء العباسيين من بعدهم (١).

ومثلما هو الحال حينما ألجأ سكان مدينة المراغة ارضهم الزراعية إلي مروان بن محمد لحمايتها فآلت إليه ملكيتها وصار أهلها مزارعين لديه ، ثم قبضت ضمن ما قبض من ضياع بني أمية وانتقلت ملكيتها أخيراً إلي إحدى بنات هارون الرشيد (٢).

وفي بعض الأحيان كانت هذه الأموال الطائلة التي يجنيها الولاة وبالاً على الدولة الإسلامية ، حيث قوت ساعد هؤلاء الولاة ممن يبيتون النية ويضمرون السوء كما حدث مع الأفشين الذي قام بتحويل الأموال واكتنازها سراً في مسقط رأسه في خراسان ليستعين بها في التمرد (٣) وكما حدث في حالة منكجور الذي خلف الأفشين في ولاية أذربيجان فاستولي على أموال كانت لبابك الخرمي ، واستعان بها في خلع الطاعة وإعلان العصيان (٤) ويمكن أن نضيف إلي هذه الطبقة الموابذة (٥) وهم أعلى مراتب الديانة الزرادشتية وكانوا محل تقديس واحترام أتباع الزرادشتية ، وكذلك فئة المرازبة الذين تولوا مسئولية جباية الضرائب (٦).

الفقهاء والعلماء :-

وضمت هذه الطبقة الفقهاء والقضاة ورواة الحديث والشعراء والأدباء والكتاب والأطباء ، ولأعضاء هذه الطبقة مكانة كبيرة لدي الأهالي ، ولهم منزلة خاصة بين الحكام

---

(١) ابن الأثير ، الكامل ، جـ٤ ، ص ٣٦١ ، محمد ضياء الدين ، الخراج والنظم المالية ، ص ٢٧٧ .

(٢) الحموي ، معجم البلدان ، مجـ٤ ، ص ٢٣٨ ؛ محمد ضياء الدين ، المرجع السابق ، ص ٢٧٧

(٣) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، جـ٥ ، ص ٢٤٨ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ٦ ، ص ٤٩٥ ، احمد الحفناوي ، حركات ومؤامرات مناهضة في تاريخ الاسلام ، ص ٦٥ :

(٤) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي ، جـ٢ ، ص ٤٧٧ – ٤٧٨ ؛ الطبري ، المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ٢٦٠ ، ابن الأثير، الكامل ، جـ٦ ، ص ٥-٥

(٥) الموابذة أعلى طبقات رجال الدين الزرادشتي ، ورئيس الموابذة يسمي موبذان ، وهو بمثابة البابا لدي المسيحيين، انظر العامري ، الاعلام بمناقب الإسلام ، تحقيق أحمد عبد الحميد غراب ، ط القاهرة ، ١٩٧٦ ، ص ١٧٤

(٦) العامري ، نفس المصدر ، ص ١٧٤

والمحكومين على حد سواء . لما لهم من أثر مباشر في حياتهم العامة . وأثرهم في نشر الإسلام لا سيما الصحابة والتابعون الذين نزلوا أذربيجان وأقاموا بها مثل أبي عثمان النهدي (١) الذي شهد فتوح أذربيجان وأسهم بدور كبير في نشر الإسلام بها (٢) وأبي محجن الثقفي (٣) الذي شهد فتوح بلدان كثيرة وأنتهي به المطاف إلي الإقامة بأردبيل والعمل على نشر الإسلام بها إلي أن وافته المنية (٤) والأشعث بن قيس الذي لعب الدور الرئيسي في نشر الإسلام في أذربيجان منذ فتحها بما بثه فيها من علم . وبما أحدثه من تغييرات كان لها الأثر في توجيه أذربيجان نحو الإسلام (٥) وفي غالب الأحيان مارس الصحابة والتابعون والعلماء نشاطهم في الدعوة إلي الإسلام عبر المساجد التي لعبت دوراً كبيراً في هذا المجال . وقامت مقام الكثير من المؤسسات الاجتماعية . فبخلاف أداء الشعائر الدينية كان المعهد لتعليم أمور الدنيا والدين . ودار القضاء التي يلجأون إليها لحل خلافاتهم ولهذا اهتم بها الخلفاء والولاة (٦) .

---

(١) أبو عثمان النهدي : أدرك النبي ﷺ ولم يره ، شهد فتوح أذربيجان وأقام بها ، ومات سنة ١٠٠هـ / ٧١٨م . انظر: ابن قتيبة ، المعارف ، ص ٤٢٦ ؛ الحنبلي ، شذرات الذهب ، جـ١ ، ص ١٨٨

(٢) العسقلاني ، الإصابة في تمييز الصحابة ، جـ٤ ، ص ٤٣٩ ؛ الذهبي ، تذكره الحفاظ ، جـ١ ، ط بيروت ، (د ت)، ص ٦٥ – ٦٦ ؛ الزبيدي الأندلسي ، طبقات النحويين واللغويين ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، ١٩٧٣م ، ص ١٢ .

(٣) أبو محجن الثقفي : من المخضرمين ، أدرك الجاهلية والإسلام ، وأسلم سنة ٩ هـ / ٦٣٠م ، له وقائع كثيرة في الإسلام . عن ذلك انظر : الدينوري ، الشعر والشعراء ، تحقيق مفيد قميحة – تعليم نعيم زرزور ، ط٢ بيروت ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، ص ٢٦٨ – ٢٦٩ ؛ المسعودي ، مروج الذهب ، جـ١ ، ص ٦٠٦ – ٦٠٨ .

(٤) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ١٩ ، ط القاهرة ، ٢٠٠١م / ١٤٢٢م ، ص ١-٣ ؛ عزيزة فوال بابتي ، معجم الشعراء المخضرمين والأمويين ، ص ٤٣٠

(٥) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣٢٤ – ٣٢٥ .

(٦) سعيد عبد الفتاح عاشور ، بحوث في تاريخ الإسلام وحضارته ، ط القاهرة ، ١٩٨٧م ، ص ١٢٣ ؛ حسن أحمد محمود ، العالم الإسلامي في العصر العباسي ، ص ٥ – ٩ ؛ حسين أمين ، المسجد وأثره في تطوير التعليم ، مجلة دراسات تاريخية ، العدد ٥ ، رمضان ١٤٠١ هـ / ١٩٨١م ، ص ٥ – ٩ ، ملكة أبيض ، الدور التربوي للمسجد الجامع بدمشق ، مجلة دراسات ، العدد السابع ، ربيع الأول ١٤٠٢هـ / يناير ١٩٨٢م ، ص ١٠٢-١٠٣
Asghar fathi : The social and political function of the mosque in the muslim community, Islamic cultur , Vol. LV III, No. 3, July 1984 , P 189

وقد تكون في بعض المساجد مكتبات تفتح أبوابها لطلاب العلم ، مثلما حدث عندما كانت للموصل مكتبة في فترات مبكرة (١) وقد عاش أهل هذه الطبقة عيشاً رغداً وتميزوا بزيهم ومظهرهم الخاص ، وكان لهم شأن كبير في المجتمع وأسبغ عليهم الناس هالة من التقديس والاحترام ، بسبب مقاومتهم للانحرافات الاجتماعية التي ظهرت من وقت لآخر وأمرهم للناس بالمعروف(٢).

طبقة الأعيان :-

وتضم هذه الطبقة كبار التجار والصناع وكبار ملاك الأراضي الزراعية ورجال المال من الصيارفة والجهابذة . فقد ساعد الانتعاش التجاري الذي حظيت به أذربيجان في ظهور الجهابذة والصيارفة الذين كانوا في العادة من أهل الذمة ، وقد ساعدت التنظيمات المالية المتبعة في التجارة مثل العقود والسفاتج والصكوك في تطور هذه الطبقة وازدياد ثرائها ، وامتد نشاط هؤلاء التجار إلي جميع الأمصار الإسلامية في العصر العباسي (٣).

ويبدو أن التجار في أذربيجان كانت أعدادهم غفيرة لوقوع المدينة كملتقى لكثير من الطرق والقوافل التجارية (٤) ولكثرة أسواقها التجارية التي كان يؤمها الكثير من التجار للبيع والشراء فقد ذكر الكرماني (٥) وجود أعداد كبيرة من التجار والدلالين في أسواق أذربيجان المختلفة ، أما صغار التجار والباعة فكان اتصالهم أقوي بالعامة من الشعب، وظلوا من ناحية وضعهم الاجتماعي أقرب إلي العامة منهم إلي طبقة الأعيان(٦).

---

(١) ول ديورنت ، قصة الحضارة ، جـ٧ ، ترجمة محمد بدران ، ط القاهرة ، ٢٠٠١ ، ص ١٠٧ .
(٢) إبراهيم أيوب ، التاريخ العباسي السياسي والحضاري ، ص ٢٥٤ ، حسن أحمد محمود ، العالم الإسلامي في العصر العباسي ، ص ٢٠٧ – ٢٠٩ .
(٣) حسن أحمد محمود ، العالم الإسلامي في العصر العباسي ، ص ٢٠٧ – ٢٠٩ .
(٤) تم تفصيل هذه النقطة في الحياة الاقتصادية
(٥) أخبار الدول وآثار الأول ، ص ٤٢٢
(٦) إبراهيم أيوب ، المرجع السابق ، ص ٢٥٤ – ٢٥٥

وضمن هذه الطبقة كبار الصناع وأصحاب الورش المنتشرة ، وقد وجد الكثير منهم في أذربيجان لقيام صناعات كثيرة مهمة بها وأهمها الصناعات الخشبية (١) أما الصناع والحرفيون متوسطي الحال فقد عاشوا عيشة متوسطة الحال لا هم بالأغنياء الموسرين ولا هم بالفقراء المعدمين ، ومن ضاق به الحال ، ساهم أحياناً بدور فعال في الحركات التي قامت ضد الولاة والحكومة المركزية أملاً في تحسين أوضاعهم ، وهذا ما حدث بالفعل أثناء حرب الخرمية حيث انضمت أعداد كبيرة للخرمية واعتنقت أفكارها ومبادئها ليس حباً فيها ولا إيماناً بها بقدر ما هي أملاً في الخلاص من وضع يصعب عليهم الاستمرار فيه (٢).

أما كبار ملاك الأراضي الزراعية وأصحاب الضياع السلطانية فقد كانت أوضاعهم أكثر تميزاً لا سيما من العرب اللذين كانت لهم أملاك وضياع كثيرة في أذربيجان وصل إلي حد امتلاك قري بأكملها ، وتميز هؤلاء برغد العيش وترف الحياة ، والثراء الكبير ومن أمثلة ذلك تلك الضياع التي امتلكها مسلمة بن عبد الملك ومحمد بن مروان وابنه مروان ، ومن ثم تحولت إلي ضياع وأملاك بني العباسي (٣).

ومنها أيضاً الضياع والحصون والبساتين التي امتلكها القائد زريق أثناء حرب الخرمية وآلت من بعده لأسرته (٤).

طبقة العامة :

هم الفئة الواسعة من المجتمع وتقابل لفظة الرعية المحكومة من قبل ذوي السلطان وقد أطلقت عليهم تسميات كثيرة للتدليل على كثرتهم ، فقيل غمار الناس ، وخمار الناس

---

(١) الحموي ، معجم البلدان ، مجـ١ ، ص ١٢١-١٢٢ ، القزويني ، اثار البلاد ، ص ٢٩١ . وقد تم تفصيل هذه الصناعات في فصل الحياة الاقتصادية

(٢) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، جـ٥ ، ص ٢٠٦ ـ ٢٠٧ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، جـ٦ ، ص ٤١٤ ، ٤٤٥

(٣) حسن أحمد محمود ، العالم الإسلامي في العصر العباسي ، ص ٢١٢

(٤) الأزدي ، تاريخ الموصل ، جـ٢ ، ص ٣٨٦ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، جـ٦ ، ص ٤٠٧

وقد أطلقت عليهم تسميات لتجعلهم رعية محكومين لا حاكمين فقيل غوغاء والجماهير الدهماء والسواد الأعظم ، وهم مندرجون في مستوياتهم ما بين المعدمين وأهل اليسار ، ولكن أبرز صفتين لازمتا العامة طوال العصور الإسلامية الفقر والجهل وتضم هذه الفئة من المجتمع الفلاحين والجند وصغار التجار والبائعين وأصحاب المهن كالحدادين والنجارين والخياطين البنائين والنساجين والصباغين والجزارين وسائسي الخيل والنحاسين والطحانين ومن على شاكلتهم (١).

وكانت أوضاع هذه الطبقة المزرية والمتدنية سبباً في قيامهم بالثورات والاضطرابات وتأييد كل خروج على السلطة ، ليس تأييداً للخارجين عليها بقدر ما هو محاولة للتخلص من ظروفهم السيئة ، وانتقاماً ممن وضعهم في هذه الظروف ، مثلما حدث عندما أيد عدد كبير منهم أفكار ومبادئ المحمرة سنة ١٦٢هـ / ٧٧٨م ؛ وذلك لأن المحمرة قد دعوا إلي تطبيق الحقل الاجتماعي لشيوعية مزدك في تناول الملذات والانعكاف على بلوغ الشهوات والملذات من الطعام والشراب والاختلاط والمشاركة في الأهل والحرم (٢).

ذلك مع الاعتراف بأنه لا توجد حدود تفصل فئات المجتمع بعضها عن بعض وتحول دون انتقال الفرد الطموح من موقعه الوطئ إلي موقع سام (٣).

طبقة الرقيق :-

دخل الرقيق إلي أذربيجان عن طريق الاسترقاق أو عن طريق التجارة والاسترقاق مرجعه الحروب الكثيرة التي شهدتها أذربيجان منذ الفتح الإسلامي لها ، ففي

---

(١) بدري محمد فهد ، المجتمع العراقي في العصر العباسي ، ضمن مجموعة بحوث نشرت تحت عنوان حضارة العراق ، جـ٥ ، ط بغداد ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م ، ص ٧٠ – ٧١ ، إبراهيم أيوب ، التاريخ العباسي السياسي والحضاري ، ص ٢٥٥ – ٢٥٦ .

(٢) ابن الأثير ، الكامل ، حـ٦ ، ٥٨ ، الحنبلي ، شذرات الذهب ، جـ١ ، ص ٢٥٤ .

(٣) بدري محمد فهد ، المجتمع العراقي في العصر العباسي ، ص ٥١ .

الفتوحات الإسلامية كانت تواكبه أعداد كبيرة من الأسرى والرقيق . وفي فتح أذربيجان ذاتها ، مع الاعتراف أن السعي إلي الاسترقاق والحصول عليه عن طريق الحرب لم يكن شيئاً في الشريعة الإسلامية بل العكس (١) مع ملاحظة أن الأسرى والرقيق الذين خلفتهم حرب الخرمية كانت أعدادهم كبيرة (٢) أما غالبية الرقيق في أذربيجان فقد كان عبر التجارة التي تعاملت وتاجرت في الرقيق واتخذت منها صفة شرعية . وهذا الرقيق هو التجارة الرائجة والسمة الغالبة في أسواق أذربيجان المشهورة . وهو من أشهر السلع المعروضة لا سيما الإماء (٣).

وقام الرقيق بمعظم الأعمال الدنيا في المزارع ، وفي أكثر الأعمال اليدوية التي لا تحتاج إلي مهارة في المدن ، وعملوا خدماً في البيوت . وغالبية الراقصات والمغنيات والممثلات كن من الجواري (٤).

أردبيل كحاضرة لأذربيجان :

أما عن مظاهر العمران ، فنجد أن المسلمين عند دخول البلاد المفتوحة قد وضعوا أسساً ومعايير لاتخاذ هذه المدينة أو تلك كحاضرة أو عاصمة ، مثل المعيار السياسي وما يرتبط به من وجود السلطة الإدارية والقضائية ، والحاميات العسكرية ، وكبر المساحة وكثافة السكان ، ووجود الأسواق ، وتوافر المرافق العامة كالحمامات والمساجد الجامعة وتوفر مصادر المياه الصالحة للشرب ، وما يرتبط بذلك من عوامل أخرى تساعد على ازدهار حياة المدينة وأمنها كالحصون والأسوار والمناخ الجيد ووفرة مصادر الغذاء ، وقد لمس

---

(١) سليمان بن عبد الله السويكت ، سبي الفتوحات الإسلامية حتى نهاية عصر الخلافة الراشدة وأثره على الأمة ، مجلة العصور ، المجلد الحادي عشر ، يناير ٢٠٠١ ، ص ٤٣ .

Marcel A. Boisard : The conduct of Hostilities and the protection of the victims of armed conflicts in Islam. Hamdard Islamicus. Vol.1, Nom2, autmn, 1978 . P. 4 – 12 .

(٢) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، جـ٥ ، ص ٢٣٤ – ٢٣٥ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، جـ٦ ، ص ٤٧٨ .

(٣) أبو الفدا ، تقويم البلدان ، ص ٣٨٩ ؛ جوستاف لوبون ، حضارة العرب ، ص ٥٦٠

(٤) ول ديورنت ، قصة الحضارة ، جـ٧ ، ص ١١٢

المسلمون توافر أغلب هذه الشروط في أردبيل مع الاعتراف بخصوصية الطابع المعماري لأردبيل بما افترضته ظروفها الطبيعية والجغرافية لوجود سلاسل جبال القوقاز (١).

ولما وجد المسلمون توافر هذه المقومات في أردبيل دفعهم هذا إلي اتخاذها عاصمة ومقراً للحاميات العسكرية وخزانة للدواوين. (٢)

وقبل الخوض في الحديث عن مظاهر العمران يجب أن نعلم أن الطرز المعمارية المختلفة في أذربيجان ومنها أردبيل قد تأثرت بمثيلاتها في بلاد فارس (٣).

فتتميز المساكن في أردبيل بأن المادة الرئيسية في البناء هي الطين الذي كان يجفف بحرارة الشمس، والآجر (٤) ويتم ترصيص الأسقف بأنواع الطين المخلوط بالحجارة (٥) وغالباً ما كانت الدور تبني من طابق واحد، عدا القليل الذي بني من طابقين وشكل البيوت من الخارج متلاصقة عالية الجدران، ويظهر الباب في جبهة الدار، وقد يكون واطئاً مع مستوي أرض الشارع أو مرتفعاً قليلاً، لذلك كانت تبني أمامه دكة أو مصطبة (٦).

أما بيوت الأغنياء وولاة الأمصار فقد كانت كبيرة وفيها البساتين وأحواض المياه وقد تكون من سعتها مقسمة إلي ثلاثة أقسام، كل قسم يخصص لشيء معين، فقسم للاستقبال، وقسم للحرم، وقسم للخدم، ولها الشرفات المطلة على الطريق، أو على الأنهار أو روافدها القريبة، وتتخذ لها أبواب وشبابيك من الأخشاب الجيدة الغالية الثمن، وقد

---

(١) محمد عبد الستار، المفهوم الإسلامي لتخطيط المدينة، مجلة المنهل، العدد ٤٥٤، السنة ٥٣، رمضان، شوال ١٤٠٧هـ / مايو، يونيو ١٩٨٧م، ص ٢٢٦؛ عطيات عبد القادر حمدي، العامل الجغرافي وأثره في نشأة المدن في أفغانستان، مجلة كلية الآداب، جامعة عين شمس، العدد ٢٥، ١٩٧١م، ص ٧٥

(٢) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٢٩٥، الحموي، معجم البلدان، مجـ١، ص ١٢١ ـ ١٢٢

(٣) الآجر نوع من الطين المخلوط بالحجارة، انظر عبد الرحيم غالب، موسوعة العمارة الإسلامية، ص ٢٧

(٤) علي سامي، هم بستكي مكتب هزي شيراز و تبريز، هنر ومردم، اسفندماه ١٣٥٤، سال جهارم، شماره صد وشصت ويكم، شماره ١٦١، ص ٤٢ ل راسكين، بادكار هاي اذربيجان كهن، مجلة بيام نوين، شماره ٩٥ (٩٣ مسلسل) دوره هشتم، فروردين ماه ١٣٤٦ هـ ش، ص ٩٠ ـ ٩١

(٥) الحموي، معجم البلدان، مجـ١، ص ٣٠٠ ـ ٣٠٢

(٦) ندري محمد فهد، المجتمع العراقي في العصر العباسي، ص ٩٠

اشتهرت أردبيل بجمال وحسن صنعة هذه الشبابيك والأبواب والتي تسمي الرواشن (١) وتباري أهلها في اقتنائها (٢) وقصور الولاة على مثل هذه الأنماط هو تقليد لما شاع في حاضرة الخلافة الإسلامية (٣).

أما بيوت الفقراء فهي أبنية مستطيلة الشكل مقامة من اللبن الملتصق بالطين وسقفها خليط من الطين وأعواد النبات وغصون الأشجار وجريد النخل والقش ؛ وكانت البيوت الأرقى من هذه نوعاً ما تشتمل على فناء داخلي مكشوف وقلما كانت البيوت تبني على الشارع ، أو تطل عليه ، ويبدو أن أهل أردبيل قد استفادوا من المواد الأولية التي أمدتهم بها الطبيعة مثل الأخشاب الكثيرة (٤) والطين والآجر الذي يستخدم كمادة رئيسية في البناء (٥).

أما تزيين الدور بالفرش والأثاث فكان أمراً يتوقف على الحالة المالية للشخص وعلى ذوقه ، فقد يفرش أحدهم حصيراً ، وقد يكون غنياً فيفرشها بالبسط المختلفة الأنواع وبالوسائد ، ومن جملة أثاث البيوت الأدوات المستعملة في المطابخ كالصواني والأدوات المستعملة في غسل الأيدي كالطسوت والأباريق ، وهذه الآنية من أشهر صناعات أردبيل (٦) إضافة إلي المناديل لتنشيف الأيدي وأقداح الشراب وقد تضاء المنازل بواسطة القناديل أو السرج أو الشموع ؛ وقد لا يبدو ذلك غريباً إذا عرفنا أن الهمداني (٧) قد نعتهم بالنظافة في المطعم والمشرب ، ووصفهم القلقشندي (٨) بحب التظاهر والتفاخر والتجمل في المأكل والمشرب والملبس والمركب .

---

(١) الرواشن : هي الشرفات في المباني ، انظر : المعجم الوسيط ، جـ١ ، ص ٣٦٠ .
(٢) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٣٧٧ .
(٣) حسن أحمد محمود ، العالم الإسلامي في العصر العباسي ، ص ٢٢٢ ــ ٢٢٣ ؛ بدري محمد فهد ، المجتمع العراقي في العصر العباسي ، ص ٩٠ .
(٤) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٢٩٨ .
(٥) الحموي ، معجم البلدان ، مجـ١ ، ص ٣٠٠ ــ ٣٠٢
(٦) ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص ٢٩٨ ؛ القزويني ، آثار البلاد ، ص ٣٣٩
(٧) صفة جزيرة العرب ، ص ٣٨
(٨) صبح الأعشى ، جـ٤ ، ص ٣٥٨ .

وهناك بعض المساكن التي عاش فيها أهل أردبيل للتكييف مع الظروف الطبيعية أو الأمنية ، فتوجد أنواع المساكن التي أقيمت تحت الأرض ، لمواكبة الظروف الطبيعية في فصل الشتاء الذي يكون دائماً شديد البرودة ويصاحبه سقوط ثلوج (١) وهناك سكان الخيام الذين قد تضطرهم الظروف الاقتصادية إلي الإقامة في الخيام (٢).

وانتشرت في أرجاء أردبيل الأبنية المسماة الفنادق (٣) والتي أقيمت بكثرة بغرض إيواء التجار الذين يتوافدون عليها بكثرة بغرض التجارة لا سيما المغتربون منهم (٤).

وبلغ الأعتناء بالحمامات الخاصة والعامة مبلغاً كبيراً لا سيما في العصر العباسي فكان لأثرياء وكبار الموظفين يملكون حمامات في دورهم ، وقد يملك بعضهم أكثر حمام وكانت هذه الحمامات الخاصة تحوي وسائل الراحة المطلوبة ، أما الحمامات العامة فقد كانت كثيرة وكانت لاستخدام كلا الجنسين الرجال والنساء ، ولكل فئات المجتمع ولا يمنع منها إلا المجزوم والأبرص (٥) ، وذلك يتماشى مع وصف حمامات أردبيل بأنها طيبة وفي ضواحيها أقيمت المقابر ومرابض الخيل والأغنام وبقية الحيوانات (٦).

أما عن المساجد في أردبيل ، فالمسجد بصفة عامة له أهميته القصوى في الإسلام ومنزلته العميقة في نفوس المسلمين ، فقد كان إلي جانب اتخاذه مكانا لتأدية شعيرة الصلاة واجتماع المسلمين فيه خمس مرات كل يوم مركزاً لنشاط متعدد الجوانب ديني وثقافي واجتماعي وسياسي (٧).

---

(١) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٣٧٥ .

(٢) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، جـ١ ، ص ١٧٨ .

(٣) الفندق : بناء تجاري معد لإيواء التجار الأجانب ، انظر : مصطفي عبد الله ، مدخل إلي العمارة الإسلامية ، ط ، القاهرة ، ص ٢٩ .

(٤) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٢٩٩ ـ ٣٠٠

(٥) بدري محمد فهد ، المجتمع العراقي في العصر العباسي ، ص ٩٣ ـ ٩٤

(٦) المقدسي ، المصدر السابق ، ص ٣٧٧ ـ ٣٧٨

(٧) ملكة أبيض ، الدور التربوي للمسجد الجامع بدمشق ، ص ١٠٢ . حسين أمين ، المسجد وأثره في تطوير التعليم ، ص ٥ ـ ٩

Asghar fathi : The social and political function of the mosque in the Muslim community , P. 189

ومن المعلوم بداهة أن وجود جماعة إسلامية في مكان ما لابد وأن يواكبه تحديد مكان لإقامة الركن الثاني من أركان الإسلام وهو الصلاة ، ونخلص من ذلك أنه كانت توجد أماكن للعبادة وإقامة للصوات في أردبيل منذ دخول الإسلام إليها ، وإن كانت تحمل اسم " مصلى " أو " مسجد " أو أي كلمة مرادفة أخرى ، ومما يؤيد ذلك أن القوة الإسلامية التي رابطت في أردبيل كان قوامها ستة آلاف جندي يستبدلون بغيرهم سنوياً (١)

ومن المعلوم بالضرورة أن هؤلاء المرابطين ، لابد لهم لإقامة شعيرة الصلاة من إقامة مسجد ، وعليه فقد وجد المسجد في أردبيل منذ فتحها ، ثم أعيد بناء و توسعه هذا المسجد لاستيعاب أعداد مرتاديه الغفيرة على يد الأشعث بن قيس في خلافة على بن أبي طالب (٢).

وكان المسجد في بداية الأمر يهدف إلي جمع المصلين في مكان واحد ، فكان عبارة عن قطعة أرض تحاط بالجدران كما هو الحال في مساجد الكوفة الأول ، ويقام السقف على أعمدة مصنوعة من جذوع النخل أو مأخوذة من الأعمدة الحجرية في المعابد والكنائس القديمة المهجورة ، وقد تيسر الأمر للمسلمين حيث وجدوا البنائين المهرة فساعدوهم في تشييد هذه المساجد (٣) وليس من المستبعد أن يكون الطراز المعماري لمساجد أردبيل قد تأثر بمثليه في الكوفة ، وما يؤيد ذلك أن أردبيل كانت تابعة إدارياً وسياسياً للكوفة فترة الخلافة الراشدة (٤).

وقد أدخلت تعديلات كثيرة وتوسعات على مسجد أردبيل الجامع ، ومن الممكن أن يكون قد أصبح عبارة عن الصحن المكشوف المحاط بأربعة أروقة أعمقها رواق القبلة

---

(١) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، جـ٢ ، ص ٥٩١ ــ ٥٩٢

(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣٢٤ ــ ٣٢٥ .

(٣) زكي محمد حسن ، فنون الإسلام ، ط القاهرة ، ١٩٤٨م ، ص ٢١ ــ ٢٢ ، ٣٤

(٤) ابن الأثير ، الكامل ، جـ٣ ، ص ٣٠ ؛ شكري فيصل ، حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول ، ص ١٤٩

وقد يضاء ليلاً بالقناديل من الغروب إلي ما بعد صلاة العشاء (١) ومما لا شك فيه أن عبد العزيز بن حاتم الباهلي قد راعي هذه الإضافات عندما قام بإعادة بناء مسجد أردبيل وتوسعته سنة ٨٣هـ / ٧٠٢م (٢).

الديانات في أذربيجان :-

حينما وطأت أقدام الفاتحين المسلمين أذربيجان وجدوا بها خليطاً من الديانات والمعتقدات منها ما هو سماوي مثل اليهودية والنصرانية ، ومنها ما هو وضعي مثل الزرادشتية والمانوية والمزدكية . فزرادشت أصله من أذربيجان وعاش حياته يدعو للزرادشتية ومن بعده خليفته خاناس الذي حمل اللواء من بعده وهو أيضاً من أذربيجان (٣) وعليه فقد انتشرت بيوت النار في ربوع أذربيجان وأقيمت الزرادشتية بكامل مؤسساتها بها ومنها انتقلت إلي بلاد فارس (٤) ولعل أشهر بيوت النار التي اتخذها زرادشت ذلك الموجودة في مدينة الشيز بالقرب من أردبيل (٥) وبلغ من تمسك أهل أذربيجان بديانتهم السابقة وهي الزرادشتية عند بداية الفتوحات الإسلامية

---

(١) مصطفي عبد الله شيحة ، مدخل إلي العمارة الإسلامية ، ص ١٣ ــ ١٤ ؛ إبراهيم الصبحي ، الفن والعمارة عند العرب ، ط القاهرة ، ص ١٤ ؛ زكي محمد حسن ، فنون الإسلام ، ص ٣٣ .

(٢) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص ٢٥ ؛ عبد المنعم عجمية ، نظام القضاء عند العرب والفرس ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ، المجلد ٤٠ ، عام ١٩٩٢ / ١٩٩٣ ، ص ١٠٠ ــ ١٠١ ؛ سميرة عبد السلام ، إيران في عهد البشداديين بين المسعودي والفردوسي ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ، المجلد ٤٢ ، ١٩٩٥ / ١٩٩٥ ، ص ٧١ ؛ راك دوشن ، تأملات درباره زراتشت، ايران نامه ، سال نهم ، شماره ١ ، ١٣٦٩ هـ ش/ ١٩٩١ م ، ص ٣ ــ ٢١

(٣) المسعودي ، مروج الذهب ، جـ١ ، ص ١٩٦ ــ ١٩٧ ؛ ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص ٤٩ ، مرتضي مطهري ، خدمات متقابل إسلام ، جلد أول ، تهران ، ١٣٥٤هـ ، ص ٢٣٠ ــ ٢٣١ ؛ محمد جواد مشكور دينكرد ، ط طهران ، ١٣٢٥ هـ ش ، ص ٢٥ ــ ٢٦ ؛ س . م طاهر رضوي ، بارسيان أهل كتابند ، تحقيق مختصري در آئين زرادشت ، نظريه أصول وعقايد توراه وانجيل وقرآن مجيد ، ترجمة عن الهنديه م.ع ماريدي ، تهران ، ١٩٣٦ ، ص ٣٧ ــ ٤٠

(٤) الدينوري ، الأخبار الطوال، ص ٢٥ ؛ عبد المنعم عجمية ، نظام القضاء عند العرب والفرس ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ، المجلد ٤٠ ، عام ١٩٩٢ / ١٩٩٣ ، ص ١٠٠ ــ ١٠١ ؛ سميرة عبد السلام ، إيران في عهد البشداديين بين المسعودي والفردوسي ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ، المجلد ٤٢ ، ١٩٩٥ / ١٩٩٥ ، ص ٧١ ؛ راك دوشن ، تأملات درباره زراتشت، ايران نامه ، سال نهم ، شماره ١ ، ١٣٦٩ هـ ش/ ١٩٩١ م ، ص ٣ ــ ٢١

(٥) المسعودي ، مروج الذهب ، جـ١ ، ص ٥٥ ؛ القزويني ، آثار البلاد ، ص ٣٩٩

أن اشترطوا لإبرام عقد الصلح مع الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان أن يترك لهم حرية العبادة ولا يتعرض لهم في معتقداتهم (١).

وبمرور الوقت أقبل الناس على الإسلام ، وصارت له الغلبة ، ومن بقوا على ديانتهم السابقة منهم أصبحوا أقلية في المجتمع الأذربيجاني ليس لها تأثير فعال ، يعيشون في شبه عزلة ، يحتفظون بتعاليم عقائدهم التي أصبحت سرية ، ولا يختلطون بغيرهم ، ولا يصاهرون مخالفيهم في المعتقد ، ولذا فقد ناصبهم المسلمون العداء بسبب تعاليمهم المنافية للشرع والأخلاق ولكن سمح لهم بممارسة أعمالهم في حرية تامة (٢).

والمانوية التي انشقت عن الزرادشتية ، وهي تنسب إلي ماني الذي ظهر في القرن الثالث الميلادي ، وأحدث دينا بين المجوسية والنصرانية وجاء بمبدأ الظلمة والنور (٣).

وتعاليم ماني تشبه إلي حد كبير تعاليم زرادشت ولكن يختلفان في أمر جوهري ذلك أن زرادشت كثير الأمل في المستقبل فهو يتوقع أن يتغلب الخير على الشر وإن طال الأمر، أما ماني فكان متشائماً يائساً يري أن هذا الامتزاج لا خلاص منه إلا بالموت ، ورأى زرادشت أن يعيش الإنسان حياة طبيعية فيتزوج وينسل ، ويعني بزرعه ونسله وماشيته ويقوي بدنه ، وبذلك ينصر إله الخير على إله الشر، أما ماني فقد نزع منزعاً آخر أشبه ما يكون بالرهبنة فقد حرم الزواج حتى يستعجل الفناء ودعا إلي الزهد وشرع الصيام سبعة أيام من كل شهر وحرم ذبح الحيوان لما فيه من إيلام (٤).

---

(١) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ص ١٥١ ؛ البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣٢١ – ٣٢٢

(٢) ابراهيم أيوب ، التاريخ العباسي السياسي والحضاري ، ص ٢٥٣

(٣) المسعودي ، مروج الذهب ، جـ١ ، ص ٢١٦ – ٢١٧ ؛ ابن النديم ، الفهرست ، ص ٤٥٦ – ٤٥٩ ، القلقشندي ، صبح الأعشى ، جـ١٣ ، ص ٢٩٤ ؛ كارنامه برزكان ايران ، نشريه كل انتشارات ، تقديم مهدي بياني ونصرت الله سعوليات ، تهران ، ١٣٤٠هـ ، ص ١٥٩ – ١٦٢ ، عبد الله رازي ، تاريخ كامل ايران ، ص ١٠٩ – ١١١

(٤) احمد الحفناوي ، حركات ومؤامرات مناهضة في تاريخ الإسلام ، ص ٤٢٨ – ٤٢٩ ؛ علي اصغر حكمت ، تاريخ اديان ، ص ١٦٩

والديانة الثانية التي انشقت عن الزرادشتية المزدكية والتي تنسب إلي مزدك الذي ظهر في القرن الخامس الميلادي ، وهو فارسي من أهل نيسابور ودعا إلي مذهب ثنوي (ثنائي) جديد ، فقال بالنور والظلمة ولكن دعا إلي نوع من الشيوعية ، فرأى أن الناس ولدوا سواء فليعيشوا سواء ، ولا مبرر للتفرقة بين شخص وآخر ، وأهم ما يجب المساواة فيه المال والنساء ، ونهي الناس عن المباغضة والقتال ، وأدت هذه الأفكار إلي انتشار الإباحية والفوضى الأخلاقية ، ولا سيما أنه دعا إلي إحلال زواج المحارم والاشتراك في نساء وأموال الآخرين (١) ، وظهرت تعاليم مزدك بصورة جلية في العصر العباسي ، لا سيما بين الشعوبيين بغرض النيل من الإسلام وقيمة الروحية والأخلاقية واعتنقها البعض لإرضاء شهواتهم ونفوسهم الضعيفة وليرتكبوا المحرمات (٢) .

وبالنسبة للديانات السماوية لأهل الكتاب في أذربيجان والممثلة في اليهودية والمسيحية فإننا نجد أن اليهود قد تواجدوا في أذربيجان وبلاد القوقاز منذ أقدم العصور حيث استقروا بها (٣) شأنهم في ذلك شأن اليهود الإيرانيين الذين ظلوا حتى القرون الهجرية الأولى في مناطق آسيا ويستخدمون اللغة الفارسية في تعاملاتهم قبل دخول الإسلام أذربيجان (٤) ومن ثم تحولوا إلي استخدام اللغة العربية مع تغلغلها في شتى شئون الحياة (٥).

---

(١) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص ٦٥ ، ٦٧ ؛ المسعودي ، مروج الذهب ، جـ١ ، ص ٢٢٨ ؛ محمد الصادق صبغي ، المجتمع الإسلامي ، ص ١٦ ؛ إحسان يار شاطر ، كيش مزدكي ، ص ١٠ – ٣٦ .

(٢) أحمد الحفناوي ، المرجع السابق ، ص ٤٣١ – ٤٣٢ .

(٣) يوسف بن كريون ، أخبار اليهود ، مخطوط بمكتبة الإسكندرية ، تحت رقم ٢٥٧٠ / و تاريخ ، ورقة ٢

(٤) على أصغر حكمت ، تاريخ أديان ، ص ٢١٤ ؛ عبد الوهاب علوب ، أهمية الكتابة الأدبية الفارسية التي كتبها اليهود ، مجلة الدراسات الشرقية ، العدد الثالث ، ديسمبر ، ١٩٨٥ ، ص ١٠١ ؛ جلال متيني ، أهمية اثار ادبي فارسي يهوديان ، مجلة ايران نامه ، سال أول ، شماره ٣ ، بهار هـ ش١٣٦٢ / ١٩٨٣ م ،ص ٤٢٤ – ٤٣١

(٥) شعلان محمد عبد السلام ، المخطوطات العربية اليهودية ، مجلة الدراسات الشرقية ، العدد الثالث ، ديسمبر ١٩٨٥، ص ١٣٣ .

وقد تزايدت أعداد اليهود في أذربيجان وآسيا الوسطى بسبب الهجرات المتوالية لليهود الفارين من وجه الاضطهاد الديني البيزنطي لهم . وأصبحت هذه المناطق هي المأوى الطبيعي لليهود الذين جاءوا إليها هرباً من الحكام البيزنطيين والأسبان ، الذين هددوهم باعتناق المسيحية وبممارسة الضغوط عليهم ابتداء من حكم حستنيان الأول (٥٢٧ ـ ٥٦٥م) والملك سيسبوت (٦١٢ ـ ٦٣١م) وازدادت هذه الضغوط في عهود الملوك التاليين لا سيما القرنين السادس والسابع الميلادي (١).

وقد حظي اليهود بقدر كبير من الحرية والتسامح في المجتمع الإسلامي ، مما مكنهم من ممارسة شعائرهم الدينية في حرية تامة ، ومن ممارسة حياتهم الخاصة وتولي كثير من الوظائف في الدولة ، ومباشرة كافة أنواع المهن دون تدخل من الدولة في شئونهم الدينية وحياتهم العامة والخاصة (٢).

أما عن المسيحية فقد تواجدت ليس في أذربيجان وحدها بل انتشرت في أرمينية وأذربيجان وإن تفاوتت نسبهم (٣) فقد أخذت المسيحية طريقها إلي أذربيجان منذ القرن الثالث الميلادي وانتشرت بصورة كبيرة (٤).

وقد ظل المسيحيون في آسيا الوسطى يرتبطون مع بيزنطة بوشيجة الدم والدين إلي أن وقع الاختلاف فقد كان المسيحيون بها يعتنقون المسيحية على أساس الطبيعة

---

(١) كيستلر ، القبيلة الثالثة عشر ، ص ٦٣ ، علي أحمد ، اليهود في الأندلس والمغرب خلال العصور الوسطى ، مجلة دراسات تاريخية ، السنة ١٧ ، العدد ٥٧ ـ ٥٨ ، أيلول و كانون ، ١٩٩٦ ، ص ١٦٣ .

(٢) حسين دويدار ، أهل الذمة في العصر الأموي ، ص ١٦٩ ـ ١٧٠؛ أحمد سعد الدين،مقارنة الأديان.جـ١،ط القاهرة، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م ، ص ١٨ ـ ١٩ ؛ سيد فرح راشد ، الكتب اليهودية بين الوحي والتحريف ، مجلة العصور ، جـ٢ ، يناير ١٩٨٧م ، ص ١٨٤ ، هشام فوزي عبد العزيز ، يهود الأندلس في ظل الحكم الإسلامي ، مجلة العصور ، المجلد ١١ ، جـ١ ، يناير ٢٠٠١ ، ص ٥٦ ، حميد حميد ، الحوادث الجامعة ، أوضاع اجتماعي وسياسي يهوديان در سغول ، مجلة ايران شناسي ، شماره ١ ، بهار ١٣٨٣ هـ ش / ٢٠٠٤ ، ص ١١٠ ـ ١١٢

(٣) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٣٧٣ ـ ٣٧٤

(٤) حامد غنيم ، انتشار الإسلام حول بحر قزوين ، ص ١٩٦ ـ ١٩٧

الواحدة للسيد المسيح عليه السلام ولكن حينما اتخذ مجمع خلقدونية سنة ٤٥١م قراراً باعتبار المسيحية في الإمبراطورية البيزنطية على مذهب القائلين بالطبيعتين للسيد المسيح عليه السلام ، وناصر أباطرة بيزنطة هذا المذهب بتعصب وحاولوا فرضه بالقوة (١) وقد أدي هذا التعصب إلي هجرة الكثير من المسيحيين القائلين بالطبيعة الواحدة أو اليعاقبة إلي آسيا الوسطى و أذربيجان وحطوا بها الرحال واستقروا بها (٢).

وقد عاش المسيحيون في ظل الدولة الإسلامية في ظلال وارفة من الأمن والسلام ولم يحدث لهم أي اضطهاد ، ولم يسجل لنا التاريخ في فترة البحث أي اضطهاد أو تعصب ضد المسيحيين في أذربيجان ، وقد ترتب على ذلك أن اشتغل أهل الذمة من اليهود والنصاري في الحرف التي تدر أرباحاً كالمنسوجات والعطور والأسلحة إلي جانب ممارسة أنواع من التجارة والصيرفة ، ولم يمنع اليهود والنصاري إلا من التعامل بالربا أو بيع الخمر والخنازير في الأمصار الإسلامية (٣).

وقد قويت الروابط الاجتماعية بين المسلمين وأهل الذمة ، إذ شارك كل طرف الآخر أعياده واحتفالاته ، وتبادل الفريقان الهدايا والمأكولات في المناسبات الدينية وغير الدينية كما أن وسائل الاتصال بين الجانبين كانت متعددة (٤).

أما بالنسبة للدين الإسلامي ، فقد دخل إلي أذربيجان مع الفتح الإسلامي لها ومع حركة الدعوة ونشر الإسلام ، وتزايدت أعداد الداخلين في الإسلام وأقبل الناس عليه

---

(١) حامد غنيم ، نفس المرجع ، ص ١٩٧ ؛ فايز نجيب ، الفتوحات الإسلامية لبلاد الكرج ، ص ٢٩
Saunders : A History of Medieval Islam, London , P. 43 .
(٢) زكية محمد رشدي، السريانية و علاقاتها بالعربية، مجلة الدراسات الشرقية، العدد الثالث، ديسمبر ١٩٨٥ م، ص ١٢
(٣) حسين دويدار ، أهل الذمة في العصر الأموي ، ص ١٧٢
(٤) ابراهيم أيوب ، التاريخ العباسي السياسي والحضاري ، ص ٢٥٢ ــ ٢٥٣

لما وجدوا فيه من السماحة والعدل ، لا سيما وأن حرية العقيدة كانت مكفولة للجميع في أذربيجان (١).

ومن العوامل التي ساعدت على سرعة انتشار الإسلام في أذربيجان في العصر الأموي حركة الدعوة التي شهدها العالم الإسلامي في عهد سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز ، وقيام مروان بن محمد بإسقاط الجزية عمن أسلم ، مما جعل الناس يتوافدون للدخول في الإسلام (٢).

وبانتشار الإسلام في البلاد المفتوحة وتفرق الصحابة والتابعين فيها ، وتنوع البيئات واختلاف النزعات والأعراف والعادات والتقاليد ، تعددت المذاهب الفقهية وتنوع الاجتهاد والاستنباط (٣) وأهم المذاهب الفقهية التي وجدت في أذربيجان المذهب الشافعي (٤) الذي انتشر في أذربيجان كلها حتى ذكر السبكي (٥) أن أذربيجان وحدها بها مائة مدينة شافعية ومنها انتقل إلى مناطق القوقاز (٦).

---

(١) ترتون ، أهل الذمة في الإسلام ، ص ٤٦ .

(٢) سيدة إسماعيل الكاشف ، تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية لساويرس المقفع وأهميته لدراسة التاريخ القومي ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد التاسع .

S.A Hasan : Asurvey of the expansion of Islam into centeral Asia During the umayyad caliphat, Islamic cultur, Vol. XLV II , Nom.1 , January 1973 , P. 1 - 13

(٣) محمد عبد الله عرفه ، الإمامان الشافعي وأحمد ، مجلة الدارة ، العدد الثاني ، جمادى الثانية ، ١٣٩٧ هـ ، يوليو ١٩٧٧ م ، ص ٨٩ ــ ٩٠ .

(٤) صاحب هذا المذاهب هو أبو عبد الله محمد بن إدريس ، ولد سنة ١٥٠هـ / ٧٦٧م بغزة ، وقيل بعسقلان تفقه على يد مسلم بن خالد والإمام مالك ، هاجر إلى مصر وأقام بها إلى أن توفى سنة ٢٠٤هـ / ٨١٩ م ، كان يأخذ بمذهب أهل الحديث وبطريقة الرأي والحديث أحيانا وانتشر مذهبه في مصر وافريقية ، انظر : السخاوي ، تحفة الأحباب وبغية الطلاب ، مخطوط بمكتبة الإسكندرية ، تحت رقم ٥٦٧٠ / ج تاريخ ، ورقة ١١٥ ، البركوي ، إشراق التاريخ ، مخطوط بمكتبة الإسكندرية برقم ٣٧٧ / ج تاريخ ، ورقة ٣٤ ؛ الشيرازي ، طبقات الفقهاء ، تحقيق احسان عباس ، ط بيروت ، ١٩٨١ ، ص ٧١ ؛ الإسنوي ، طبقات الشافعية ، جـ١ ، تحقيق كمال يوسف ، ط بيروت ، ١٤٠٧ هـ ، ص ١٨ محمود شهابي ، أدوار فقه ، جلد سوم ، تهران ، ١٣٥٤ ، ص ٧٣٩ ــ ٧٥٧

(٥) طبقات الشافعية الكبرى ، جـ١ ، تحقيق محمود محمد الطناحي / عبد الفتاح محمد محمود ، ط القاهرة ، ١٣١٣هـ ، ص ٣٢٨ .

(٦) الحميري ، بلغة المستعجل في التاريخ ، مخطوط بمكتبة الإسكندرية برقم ٨٦٢٤ / و ، فنون متنوعة ، ورقة ٣٥٨ ، السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، جـ١ ، ص ٣٢٨

كما انتشر المذهب المالكي [١] في المناطق المجاورة لأذربيجان مثل قزوين وأبهر وانتقل إلي أذربيجان بحكم الجوار والتأثر ، وانتشر إلي جوار المذهب الشافعي وإن كان بنسبة قليلة [٢] ولم يكن للخوارج ولا للشيعة أتباع ولا وجود في أذربيجان ، وظل أهلها سنة وجماعة [٣].

العادات والتقاليد :-

شهدت أذربيجان تنوعاً في العادات والتقاليد المنتشرة بها ، شأنها في ذلك شأن جميع الأمصار الإسلامية ، فمنها ما استمدته من واقع البيئة ومنها ما كانت ترجع إلي عصر ما قبل الإسلام ، ومنها ما اقتبس من الأمم الأخرى وخاصة الفرس ، وهذه الصور يمكن أن نطلق عليها اسم العادات والتقاليد ، التي سيطرت على عقول الناس ولا تزال مسيطرة إلي اليوم ، وتختلف هذه العادات والتقاليد باختلاف المناسبات ، ومنها ما له علاقة بالحياة الاجتماعية بصفة عامة [٤].

أما فيما يخص طباع أهل أذربيجان نجد أن المؤرخين قد استفاضوا في وصفها ما بين مادح وقادح .

---

(١) ينسب هذا المذهب إلي الإمام مالك بن أنس بن مالك بن عامر بن الحارث ، الذي ولد بالمدينة سنة ٩٣هـ / ٧١١م ، وتوفى سنة ١٧٩ هـ / ٧٩٥م ، وهو زعيم أهل الحجاز ، ويأخذ بطريقة الحديث ، وتتلمذ على يديه مصريون وأفارقه ومغاربه وأندلسيون ، وله تلامذة من بغداد وخراسان وأهم مؤلفاته " الموطأ " . انظر ابن النديم ، الفهرست ، ص ٢٨٣ ؛ ابن فرحون ، الديباج المذهب ، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور ، ط القاهرة ، (د ت) ص ٦١ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك ، مجـ١ ، تحقيق احمد بكر محمود ، ط بيروت ، ١٩٦٧ ، ص ١٠٢، ١٠٤ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، حـ٩ ، ص ٣٤ – ٤٢

(٢) القاضي عياض ، المصدر السابق ، مجـ١ ، ص ٥٣ ، ٧٩

(٣) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٣٧٣

(٤) مليحة رحمة الله ، صور من الحياة الاجتماعية في المجتمع العباسي في العراق ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد السابع عشر ، ١٩٧٠ م ، ص ٢٣

فالمقدسي(١) يصفهم بأنهم أهل مكر وغفلة ولا ينظرون في عواقب الأمور ولا يعذرون أهل المذهب ، وقد سار القلقشندي(٢) على نفس النهج فوصفهم بأنهم غليظوا الطبع شرسوا الأخلاق ، في حين نجد أن الحموي(٣) يصفهم بأن في معاملتهم لين وحسن معاملة ، إلا أن البخل غالب على طباعهم . وقد استفاض الهمداني(٤) في مدح سكان أذربيجان عامة فوصفهم بأنهم أهل نظافة في المطعم والمشرب ، حكماء ،أخلاقهم أخلاق عدل ، أحرار ، وأنفسهم نبيلة مبغضون للشر ، يبغضون النميمة والسعاية ، مقتصدون في مجامعة النساء وأصحاب عفة وطهارة ، يلبسون الثياب الكبير الثمن ، لهم دهاء ومكر وتعمق في الرأي والنظر وأسرع حكمة وأميل إلي الخبث ، وحسنت سيرتهم وكثر خيرهم وخيلهم .

وبالرغم من أن هناك تباين في مواقف هؤلاء المؤرخين ، ولكن يمكن القول أن مرد ذلك إلي أن كل واحد منهم يتحدث عن تجربة شخصية في التعامل مع من يصفه وقد يعمم ومن المعلوم أن كل مجتمع به الغث والثمين ولا يخلو مجتمع مسلم من خير.

ومن عادات أهل أذربيجان تجمع الرجال والنساء في الأسواق وأمام الحوانيت وتناول الطعام والشراب في جماعة (٥) وامتازوا بحب التظاهر والتفاخر والتجمل في المأكل والمشرب والملبس والمركب (٦).

أما عن الاعتقاد في الخرافات والأساطير والأشياء الخارقة للعادة نجد أن الأذربيجانيين يعتقدون بقدسية نهري الكر والرس ، فيعتقدون بأن الذي يسقط فيها

---

(١) أحسن التقاسيم ، ص ٣٧٧ ــ ٣٧٨ .
(٢) صبح الأعشى ، جـ٤ ، ص ٣٥٧ ــ ٣٥٨ .
(٣) معجم البلدان ، مجـ١ ، ص ١٠٩ ــ ١١٠ .
(٤) صفة جزيرة العرب ، ط القاهرة ، (د ت) ، ص ٣٨ .
(٥) ناصر خسرو ، سفرنامه ، ص٥
(٦) القلقشندي ، صبح الأعشى ، جـ٤ ، ص ٣٥٨ .

لا يتعرض للغرق (١) كما يعتقدون أن جبل سبلان المشرف على أردبيل من معالم الصالحين ومن الأماكن المباركة (٢).

ومن المعتقدات المسلم بها بينهم أن لديهم حجر كبير يؤمنون ببركته ، فإذا أجدبت البلاد ومنع القطر والمطر ، أخرجوا هذا الحجر ووضعوه في الطريق العام فينهمر المطر كأفواه القرب ، فإذا رفعوه وقف المطر (٣).

أما عادات الأحزان والأتراح فهي كثيرة في جميع المجتمعات ،وتبدأ عند تشييع الموتى ، إذ يخرج الأهل والأصدقاء والمعارف ويسيرون خلف الجنازة ، وقد تخرج المرأة تبكي وتنشر شعرها وتنشد الأشعار ، وربما يخرج الرجال من أصحاب الذكر يسيرون خلف الجنازة ويقومون بالتهاليل وترتيل الألحان ، أما بالنسبة للنصارى فيشيعون موتاهم بالنواح وضرب الطبول والنفخ بالزمور ويسير الرهبان في المقدمة ثم حاملو الصلبان والشموع ، ثم بقية الناس من أهل ومعارف وأصدقاء (٤) ويلاحظ على أهل أذربيجان والقوقاز بصفة عامة أنه إذا مات لديهم عزيز يظهرون قدراً كبيراً من الصبر والجلد والاحتساب ويمتثلون لقدر الله عزوجل (٥).

أما عادات المجتمع في الأفراح فإننا سوف نفصل الحديث عنها في المناسبات والأعياد.

أما عن وضع المرأة في أذربيجان ، فإن المرأة بصفة عامة قد أعيدت لها حريتها المسلوبة منذ دخولها الإسلام ، وأصبح لها دور فعال في الحياة البشرية ، واعترف لها بمشاركة

---

(١) ابن الوردي ، خريدة العجائب وفريدة الغرائب ، ص ١٣٧ ، ١٤٠

(٢) الحموي ، معجم البلدان ، مجـ١ ، ص ١٩ ، القزويني ، نزهة القلوب ، المقالة الثالثة ، در صفت بلدان وولايات وبقاع ، بسعي واهتمام وتصحيح لي استرنج ، ط بيروت ١٣١٣هـ / ١٩١٣م ، ص ١٩٦

(٣) القزويني ، آثار البلاد ، ص ٢٩١

(٤) مليحة رحمة الله ، صور من الحياة الاجتماعية في العصر العباسي في العراق ، ص ١٦ ـ ٢٨

(٥) النويري ، نهاية الأرب ، جـ١ ، ص ٢٧٣

الرجل في إبقاء الجنس البشري ، فهي الزوجة والابنة والأخت والأم وهي عماد الأسرة والركيزة الأساسية في بناء المجتمع ، وتتحمل المسئولية الفردية في الإسلام مثلها في ذلك مثل الرجل تماماً (١) والنساء في أذربيجان لها مكانتها المميزة ، إذا أنهن كن يقمن بجمع دود القز تمهيداً صناعة الحرير (٢) وظلت تحتفظ وتستمر في هذا العمل واشتهرت به وامتد إلي عصور لاحقة على فترة البحث إذ أنهن يقمن بالدور الرئيسي في صناعة السجاد القوقازي المميز (٣).

وبلغ الاهتمام بالمرأة في المجتمع الأذربيجاني مبلغاً كبيراً ، حيث تباري الرجال في محاولة إرضاء زوجاتهم ، فكانوا يقومون باستخراج أنواع من الكبريت الذي يجدونه في بعض روافد الأنهار ويمزجونه ببعض المواد ، ويصنعون منه أشكالاً متنوعة من الطعام يهادون به النساء (٤) ويمكن أن تكون المرأة قد اتخذت الكثير من وسائل اللهو والترف والتسلية منها النزول إلي الأسواق والذهاب إلي الحمامات العامة المخصصة للسيدات والتي وجدت في أذربيجان بكثرة وبلغ الاعتناء بها مبلغاً كبيراً (٥) وكانت المرأة إذا أرادت الذهاب إلي الحمام استصحبت أفخر ثيابها وأنفس حليها فتلبسه حين فراغها من الغسل في الحمام ، وفي بعض الأحيان كن يخرجن إلي المتنزهات وهن متبرجات (٦).

أما فيما يخص الأطعمة ، فنجد أنها بصفة عامة قد تنوعت نظراً لتعدد المحاصيل الزراعية وتنوع الثروة الحيوانية ، إضافة إلي ما كانت تجود به القوافل التجارية من مواد

---

(١) فتحية النبراوي ، تاريخ الحضارة والنظم الإسلامية ، ص ١٧٧ ـ ١٧٨ .
(٢) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٣٨١
(٣) حسن محمد نور ، السجاد القوقازي ، مجلة العصور ، المجلد العاشر ، الجزء الأول ، ١٩٩٥ ، ص ٣٤ ـ ٣٥
(٤) أبو دلف ، الرسالة الثانية ، ص ٤٥ .
(٥) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٣٧٧ ـ ٣٧٨
(٦) أحمد محمد عدوان ، المكانة العامية والاجتماعية للمرأة في العصر المملوكي ، مجلة العصور ، المجلد الرابع ، الجزء الأول ، يناير ١٩٨٩م ، ص ١٥٥ .

غذائية لم تكن متوفرة لدى السكان ، وتنوعت أنواع الأطعمة والأشربة واختلفت باختلاف الطبقات الاجتماعية ، فهناك الأكلات البسيطة والرخيصة ، وهي طعام الطبقات الدنيا والزهاد والمتصوفة ، وهناك الأكلات المعقدة والمترفة وهي طعام عليه القوم (١) ويمتاز المجتمع الأذربيجاني بحبه وإقباله على الطعام والشراب بكثرة (٢).

أما الخبز فقد بلغت العناية والاهتمام به مبلغاً كبيراً لا سيما في مناطق أذربيجان الجبلية جعل لهم شهرة كبيرة في صناعته وتنوع درجاته (٣) وهو نوعان بيتي يصنع بالبيت لتأكله العائلة وآخر سوقي أي يصنع بالسوق ، ويفضل الناس البيتي لأنه أجود والخبز من حيث المادة المصنوع منها أنواع ، أولها وأجودها خبز الحنطة ، والذي صنع منه خبز الحواري أو السميد ، والخبز الخشكار والذي يصنع من الطحين الخشن غير المنقي وخبز الشعير وخبز الأبازير الذي يتخذ من الدقيق والعسل (٤).

وطعام الفقراء يتكون من اللحم أحياناً والخبز والزعفران والخل ، ويتعاون الناس فيما بينهم وخاصة الجيران فإذ طبخ أحدهم غرف لجيرانه ، مع الأخذ في الاعتبار أنه لم يكن الفرد يحافظ على نفس الطعام إذا تحسنت حالته الاقتصادية ، بل يعمد إلى تحسينه ، وأما طعام الأغنياء فإنه يعد من الوجبات المعقدة وتصل تكاليفه إلى حد الترف ، ومن البديهي أن تكون هذه الأكلات غالية الثمن لا يقدر عليها الفقراء ، ومن أمثلة هذه الأطعمة الدجاج واللحم والسكباج الذي يطبخ بتقطيع اللحم ويضاف إليه البهارات

---

(١) عبد العزيز الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري ، ط بغداد ، ١٩٤٨ ، ص ٢٣٨ ؛ بدري محمد فهد ، العامة ببغداد في القرن الخامس الهجري ، ط بغداد ١٩٦٧م ، ص ١٠٤ ـ ١٠٧ ، ١٠٩ ؛ بدري محمد فهد ، المجتمع العراقي في العصر العباسي ، ص ٣٦ ، ٧٣ ؛ محمد كرد علي ، ماكل العرب ، مجلة المقتبس ، جـ٩ ، المجلد ٣ ، رمضان ١٣٢٦هـ / أكتوبر ١٩٠٨م ، ص ٥٦٩ .

(٢) القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ٢٩١ ـ ٢٩٢

(٣) المقدسي ، المصدر السابق ، ص ٣٧٣ ـ ٣٧٤ ؛ ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٢٨٨

(٤) المبرد ، كتاب الطباخة ، نشر في مجلة المشرق ، السنة الخامسة والثلاثون ، جـ٣ ، مارس ١٩٣٧ ، قدم له حبيب الزيات ، ص ٣٧٧ ـ ٣٨٠

وأنواع عديدة من الأطعمة والمشهيات ، والأنواع الأخرى من البقول المطبوخة والبوارد والإسفيداج والديكبراكة التي تصنع من اللحم والبصل والكرات ، وغيرها من الأنواع (١).

إلي جانب هذا كانت توجد الأكلات الشعبية والتي تؤكل من قبل الناس على اختلاف مستوياتهم الاقتصادية وتشمل السمك والأرز واللبن والرؤوس والأكارع والكباب والثريد (٢) وليس من المستبعد أن تكون هذه الأنواع من الأطعمة وغيرها تواجدت في أذربيجان مثلها مثل بقية المجتمعات الإسلامية بل أكثر وهذا ما دفع المؤرخين إلي وصفهم بحب وكثرة الأكل (٣) والميل إلي التنويع والاستكثار من الأطعمة والتفاخر بذلك (٤) والميل الشديد إلي أكل الرؤوس والأكارع (٥) ولم يمنع من استخدام المشهيات وأنواع الخضراوات التي زرعت في أذربيجان وأقبل الناس عليها ، مثل اللفت والجزر والكرنب (٦) والفواكه الرطبة مثل العنب (٧) والتين (٨) والتفاح والكمثري (٩) ومن الثمار اليابسة الجوز والبندق والتمر المسمي لديهم القسبويه (١٠).

---

(١) ابن البيطار ، المفردة المهية في منافع الأبدان الإنسانية ، ط القاهرة (د.ت) ص ١٦٩ ؛ الراغب الأصفهاني ، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ، جـ٢ ، ط بيروت ، ١٩٦١ م ، ص ٦١٠ ؛ بدري محمد فهد ، العامة ببغداد في القرن الخامس الهجري ، ص ١٠٠ – ١٠٨ ؛ بدري محمد فهد ، المجتمع العراقي في العصر العباسي ، ص ٧٤ – ٧٦ .

(٢) الأبي ، نثر الدر ، جـ٢ ، تحقيق محمد علي قرنه ، مراجعة علي محمد البجاوي ، ط القاهرة ١٩٨١ ، ص ٢٥٥ – ٢٥٦ ؛ الجاحظ ، البخلاء ، تحقيق طه الحاجري ، ط القاهرة ، (د ت) ، ص ٢٢٩ ؛ بدري محمد فهد ، المجتمع العراقي في العصر العباسي ، ص ٧٦ .

(٣) القزويني ، آثار البلاد ، ص ٢٩١ .

(٤) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٢٩٨ .

(٥) القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ٢٩٢

(٦) القلقشندي ، صبح الأعشى ، جـ٤ ، ص ٤٦٧ – ٤٦٨ .

(٧) القزويني ، آثار البلاد ، ص ٢٨٧ ؛ ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٢٩٨ ، أفراد ، أذربيجان ، ص٦

(٨) أبو دلف ، الرسالة الثانية ، ص ٤٥

(٩) القزويني ، آثار البلاد ، ص ٢٨٧ ؛ القلقشندي ، صبح الأعشى ، جـ٤ ، ص ٤٦٧

(١٠) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٣٧٣ – ٣٧٤ ؛ أبو دلف ، المصدر السابق ، ص ٥٦ ، ابن الوردي ، خريدة العجائب ، ص ٥٢

أما عن الحلويات فقد شاع بين سكان أذربيجان تناول الحلوى المصنوعة من ماء البطيخ المجفف (١) وعسل قصب السكر (٢) إضافة إلي عسل النحل المميز الذي اشتهرت به أذربيجان (٣) كما شاع في المجتمع الأرذربيجاني تجفيف الكمثري والاستفادة من أكله طوال العام (٤) ويمكن الإقبال على أنواع أخري من الحلوى مثل خبيص السكر وخبيص القرع وكعب الغزال والزلابية والقطائف واللوزينج والفالوذج (٥) وهذا من الممكن أن يتماشى مع المزاج الأذربيجاني الذي يجنح دائماً إلي التمتع والتنعم بأشكال الأطعمة والأشربة المختلفة (٦).

وشراب المجتمع الأرذربيجاني من الأنهار التي تجري بها، ومنذ أقدم العصور فإن الناس قد أقبلوا على نبيذ الخزر (٧) وظل أهل الذمة بعد ظهور الإسلام يقبلون على أنواع الخمور (٨) وقد تضطر الظروف الناس في أذربيجان كما في غيرها من المجتمعات شرب الماء المبرد صيفاً سواء أكان ذلك عن طريق تعرضه للماء أو عن طريق الثلج، ثم الألبان سواء أكانت من الإبل أو البقر أو الأغنام، وعصير الفواكه، وغيرها من الأشربة (٩)

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، جـ٤، ص ٤٦٧ – ٤٦٨.
(٢) الثعالبي، لطائف المعارف، ص ٣١.
(٣) ابن حوقل، المصدر السابق، ص ٢٨٨، القلقشندي، صبح الأعشى، جـ٤، ص ٤٦٨؛ لي سترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ٢٠٢.
(٤) القزويني، آثار البلاد، ص ٢٨٧ – ٢٨٨
(٥) بدري محمد فهد، المجتمع العراقي في العصر العباسي، ص ٧٩، محمد كرد علي، مائل العرب، ص ٥٧٩.
(٦) ابن حوقل، المصدر السابق، ص ٢٩٨
(٧) الجاحظ، رسائل الجاحظ، جـ٤، رسالة في الشارب والمشروب، تحقيق عبد السلام هارون، ط القاهرة، ١٩٧٩م / ١٣٩٩هـ، ص ٢٧١
(٨) ناصر خسرو، سفرنامه، ص ٥
(٩) الغزولي، مطالع البدور في منازل السرور، جـ٢، ط القاهرة، ١٩١٩هـ / ٢٠٠٠م، ص ٤٠١، أحمد تيمور، الموسوعة التيمورية، ص ٨٢؛ بدري محمد فهد، المجتمع العراقي، ص ٦٩

والمجتمع الأذربيجاني بما عرف عنه من التأنق والتجمل [١] يمكن أن يكون للمائدة آداب لديه ، مثل غسل الأيدي قبل الطعام وبعده وتنظيف الأسنان وشكر صاحب الوليمة إذا كانت وليمة [٢] وهذه الآداب وإن كانت من تعاليم وآداب الإسلام إلا أن المجتمع الأذربيجاني قد وصف باهتمامه بنظافة المطعم والمشرب والأواني المستخدمة [٣].

أما عن الزي والملابس ، فنجد أنها قد تطورات تطوراً كبيراً ، وقد ساعد على ذلك في المقام الأول ازدهار صناعة المنسوجات في أذربيجان وقد فصلنا الحديث عن هذه الصناعة ، ومن الملاحظ أن ملابس الناس لم تكن موحدة بل اختلفت بمختلف مستوي المعيشة للأفراد ، فكانت للزهاد والفقراء لباس ولمتوسطي الحال لباس والأغنياء لباس وتختلف أيضاً باختلاف مواسم السنة حراً وبرداً ، والملابس من حيث الغاية ثلاث أنواع فبعضها للرأس وبعضها للبدن والبعض الأخر للأرجل [٤].

والفقراء والزهاد لبسوا الملابس الخشنة ذات الأشكال البسيطة ، وتتخذ من القماش الرخيص الثمن ، ومنهم من يجعل ملابسه جميعها من قطعة واحدة من القماش ، والطابع العام للملابس الصوفية إضافة إلي الخشونة والبساطة هو لبس المرقعات ، ولبس الفلاحون الثياب الغليظة شتاءاً ومن القطن صيفاً ، أما بقية المجتمع فلبسوا أنواع الملابس وفضلوا الجيد منها كالحرير والإبريسم ، فكانوا يلبسون الغلالة وهي ثوب رقيق تحت الملابس ،وفوقها القميص ثم الجبة ، ومن ملابسهم الإزار ، وتختلف جودته وصناعته فبعضهم يلبسه من صوف وآخرون من الحرير ، وكان الطيلسان

---

(١) القلقشندي ، صبح الأعشى ، جـ٤ ، ص ٣٥٨

(٢) مليحة رحمة الله ، صور من الحياة الاجتماعية في المجتمع العباسي في العراق ، ص ٢٩

(٣) الهمذاني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٣٨

(٤) نوري حمد فهد ، المجتمع العراقي في العصر العباسي ، ص ٨٣ ؛ مليحة رحمة الله، صورة من الحياة الاجتماعية في المجتمع العباسي في العراق، ص ٣٠؛سحر السيد عبد العزيز،ملابس الرجل في الأندلس في العصر الاسلامي ، مجلة المعهد المصري للدراسات الاسلامية في مدريد ، المجلد السابع والعشرون،مدريد،١٩٩٥، ص ١٦٣ – ١٧٣

من ملابس المجتمع بفئاته المختلفة ، وهو مربع يطوي بكيفية معينة ، ويوضع على العمامة أو القلنسوة وكان يتجمل بها العلماء والفقهاء والقضاة والخطباء والكتاب والمدرسون والأشراف وكبار رجال الدولة . أما النساء فقد جعلن لملابس البدن ما يلبس تحت الثياب ملامسا للجسم مثل الإتب والصدار والترقر وهي قميص متقاربة في الشكل وليس لها أكمام والملابس الخارجية فمنها الرداء والإزار والسروال والوشاح الذي تضعه المرأة على ملابسها والنساء مثل الرجال من حيث التفاوت في نوعية الملابس التي كن يلبسنها ففي الوقت الذي لبست فيه المترفات الحرير والقز والديباج لبست الفقيرات الخشن والغليظ من الملابس ، أما بقية النساء فكن يتفاوتن في لبسهن ما بين المترفات والمتصوفات (١).

وكانت هناك خصوصية للملابس المجتمع الأذربيجاني الذي غلبت عليه المنسوجات القطنية والصوفية والكتانية ، ومن أنواع الملابس التي اختصت بها ثياب الأطلس والخطائي (٢) وطبقات المجتمع العليا اعتادت ارتداء أنواع الملابس الحريرية الموشاة بخيوط الذهب (٣).

ولبس الناس في أرجلهم الجوارب التي اختلفت من حيث العناية بها كالاختلاف في الملابس من حيث قماش الجوارب فبعضها من الخز المرعزى والقز والصوف والكتان ، ومن حيث نظافتها ، وقد لبسوا فوق الجوارب الأحذية وهي أشكال فمنها النعال ، وهي ما فوق القدم ولم يصل إلي الساق وهي أنواع كثيرة فمنها الأسماط والمخصوفة والمداسات والقباقب والنوع الآخر وهو الخفاف وتختلف عن النعال في أنه يصل إلي الساق ، وقد لبسه الناس على اختلاف مهنهم ، ومن أنواعها الموق ، والجرموق ، ومن قبيل تأنق الناس

---

(١) بدري محمد فهد ، المجتمع العراقي في العصر العباسي ، ٨٥ – ٨٦ ؛ حسن أحمد محمود ، العالم الإسلامي في العصر العباسي ، ص ٢٢٤ ، حسين الحاج ، حضارة العرب في العصر العباسي ، ص ١٧٣ – ١٧٤ ؛ ليلي صالح البسام / ليلي عبد الغفار ندا ، أنماط الملابس النسائية التقليدية والعوامل المؤثرة عليها في مكة المكرمة ، مجلة المصور ، المجلد التاسع ، جـ١ ، يناير ١٩٩٤ ، ص ١٦٤ – ١٦٥

(٢) القزويني ، آثار البلاد ، ص٣٩٩ ؛ بيكلسون ، تبرير ، دائرة المعارف الإسلامية ، جـ٤ ، ص ٥٤٤

(٣) ماركوبولو ، رحلات ماركوبولو ، جـ١ ، ص ٥٣

في العصر العباسي في اللباس أنهم كانوا يتحلون الخفاف بأنواع جيدة من القماش والجلود والفرو، وتفننوا في صنعها وتغيير أشكالها[١] ولا عجب أن تجد مثل هذه الأنواع في المجتمع الأذربيجاني لا سيما وأنهم وصفوا بالترف في الملابس وشتى مناحي الحياة[٢]، والتغالي في ارتداء وانتعال الأشياء الغالية الثمن[٣].

والناس بصفة عامة يميلون إلي الاعتناء بمظهرهم لا سيما عند الخروج من المنزل كأن يدهن أحدهم شعره ويسرحه، ويسوي عمامته، ويسوي هندامه، وقد يتطيب بنوع من الطيب مما يتيسر لديه مثل المسك وماء الورد والعنبر والزعفران والكافور[٤] وقد عرف المجتمع الأذربيجاني لا سيما المناطق الجبلية التسابق إلي التطيب بأنواع العطور[٥].

وكل مجتمع به جملة من وسائل التسلية وملء الفراغ وللتخفيف من عناء العمل اليومي مثل مجالس الأحاديث وجلسات السمر والعلم، ومجالس الغناء والموسيقي والرقص، وجلسات الوعظ والدروس الدينية والألعاب الرياضية مثل ركوب الخيل واللعب بالكرة والشطرنج والعدو، كما قصد الناس المواضع الخلوية والبساتين واشتد الإقبال على الصيد والقنص[٦] وشاع في المجتمع الأذربيجاني رحلات القنص والصيد لوجود الغابات بها مما جعلها مقصد الملوك والأمراء للقنص والصيد[٧] كما أقبل الناس في أذربيجان على مجالس اللهو والطرب والحرص على اقتناء الجواري والمغنيات[٨].

---

(١) بدري محمد فهد، المجتمع العراقي في العصر العباسي، ص ٨٦ – ٨٨.
(٢) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٢٩٨.
(٣) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٣٨.
(٤) الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، شرح وتحقيق د/ مفيد محمد قميحة، ط بيروت، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م، ص ٢٩٢؛ حسين الحاج، حضارة العرب في العصر العباسي، ص ١٧٧ – ١٧٨.
(٥) ابن حوقل، المصدر السابق، ص ٢٩٨.
(٦) بدري محمد فهد، المجتمع العراقي في العصر العباسي، ص ١٠٢؛ ول ديورنت، قصة الحضارة، جـ٧، ص ١٤٢ – ١٤٣؛ أحمد عبد الحميد غفاجي، جوانب من الحياة الاجتماعية في مصر في العصر الأيوبي، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، مج ٢٩، ١٩٨٢، ص ٢٠٠ – ٢٠٢
(٧) غانجي، منجم العمران في المستدرك على معجم البلدان، جـ١، ص ٢٠٨
(٨) ابن حوقل، المصدر السابق، ص ٢٩٨

أما عن الأعياد والاحتفالات ، فقد تنوعت بتنوع الديانات الموجودة في كل مجتمع فالمسلمون الأعياد لديهم مرتبة في مواعيد معينة في السنة تبدأ بالاحتفال بحلول شهر رمضان ، حيث يبادر الخلفاء والولاة بتوزيع الصدقات على الفقراء والمساكين وتضاء المساجد ليلاً لصلاة التراويح ثم الاحتفال بعيد الفطر ، وتبدأ بمشاهدة الناس للهلال والشهادة لدي القضاة بذلك ، وفي صبيحة اليوم الأول من شوال تخرج الناس بملابسهم الجديدة إلي المساجد لأداء صلاة العيد ، وإذا دخل شهر ذي الحجة احتفلوا في اليوم العاشر بأداء صلاة العيد ثم يخرجون بعده ليشغلوا بنحر الأضاحي وتوزيع لحومها ، وهي أهم ما يميز العيد ، والاحتفال بالمناسبات الدينية الأخرى وأهمها رأس السنة الهجرية وذكري المولد النبوي الشريف (١).

وبالنسبة للأعياد الفارسية التي احتفل بها جميع طوائف وفئات المجتمع ، ويأتي في مقدمة هذه الأعياد عيد النيروز (٢) وهو رأس السنة الفارسية ويعلن فيه دخول فصل الصيف ، وتستمر الاحتفالات به سبعة أيام متتالية (٣) وفيه يبتهج الناس ويفرحون ويمرحون ، وقد جرت العادة قديما لدى ملوك الفرس أن يمنحوا الهدايا لرعاياهم ، وأن يغمر الناس البهجة والسرور ، وكانت مظاهر تعبيرهم عن الاحتفال هي وقود النار ، ورش الماء ويتبادل الناس الهدايا والتهاني بين بعضهم البعض وبينهم وبين حكامهم ، وقد ظلت هذه

---

(١) بدري محمد فهد ، المجتمع العراقي ، ص ٩٥ – ٩٧ ، فتحي أبو سيف ، خراسان تاريخها السياسي والحضاري ، ط القاهرة، ١٩٩٥ ، ص ٢٣٤ ؛ ول ديورنت ، قصة الحضارة ، جـ٧ ، ص ١٦٦ ؛ الخضري عبد المنعم السيد ، العيد في الإسلام، مجلة الوعي الإسلامي، العدد ٤٣٢ ، السنة ٣٧ ، شوال ١٤٢١هـ ، ديسمبر ٢٠٠٠ ، ص ٣١

(٢) النيروز كلمة مركبة أصلها بهلوي بمعني اليوم الجديد وهو رأس السنة الفارسية ويقع في اليوم الاول من شهر فروردين الموافق ٢١مارس ، أي أول الربيع انظر العسكري ، الأوائل ، ط بيروت ، ١٩٨٧ ؛ ص٢٧٩– ٢٨٠؛ فتحي أبو سيف، المرجع السابق ، ص ٢٣٣ – ٢٣٤ ؛ تقي زاده ، نوروز ، مجلة يادكار ، فروردين ١٣٢٧هـ ش، جمادى الثانية ١٣٦٧ هـ ، مارس أوريل ١٩٤٨م ، سال جهارم ، شماره هفتم ، ص ٥٢ – ٦٦ ؛ بورپير داتل حالوري ، نوروز ، ايران نامة ، سال أول ، شماره ٣ ، زامستان ١٣٦١ هـ ش/ ١٩٨٣ م ، ص ١٤٣ – ١٤٦

(٣) البيروني ، الآثار الباقية عن القرون الخالية ، ط بيروت ، (د ت) ، ص ٢١٨ – ٢١٩ ؛ ابراهيم شكورزاده ، عقايد رسوم عامة / مردم خراسان ، مشهد عام ١٣٤٦هـ ش ، ص ٧٦ ، ٧٦ – ٧٩

العادات متبعة في العصور الإسلامية ، حيث وجد فيها الفرس الذين دخلوا الإسلام مظهراً من مظاهر المرح والتسلية فحافظوا عليها وشاركهم العرب الاحتفال بهذه الأعياد (١) وأنشدت فيه القصائد (٢) .

ويلي النيروز عيد المهرجان (٣) وهو يعني مقدم الشتاء ، ويستمر الاحتفال به ستة أيام متتالية ، ومن رسوم الأمراء فيه أن يقدموا إلي فقراء الناس وضعفائهم الطعام ويتبادل فيه الناس الهدايا كما يتهادون في النيروز (٤) هذا إضافة إلي بعض الاحتفالات والأعياد الأخرى التي احتفلت بها الأقليات من أتباع اليهودية والنصرانية (٥) .

أما الاحتفالات الخاصة التي تمثلت في الزواج والختان ، فقد ارتبطت بالشرائع الدينية فيتم الزواج بعد الخطبة التي تتم بطريقتين ، إما بالتفاهم بين الرجل والمرأة أو الوساطة ، فإذا تم القبول اتفق الطرفان على الصداق ، الذي اختلف مقداره باختلاف طبقات المجتمع ثم يتم الزواج ، حيث تقام الولائم والاحتفالات ، وجرت العادة عند الأمراء والأثرياء أن ينثر على الحضور النقود الذهبية والفضية والحلويات وعرف بالنثار (٦).

كما شاع الاحتفال بالختان ، وخاصة للأبناء الذكور بإقامة الولائم وتوزيع الهدايا والأموال ، ومن صور الاحتفالات ، الاحتفال بختمة القرآن ويكون مقصوراً على الأحداث (٧).

---

(١) البيروني ، الآثار الباقية عن القرون الخالية ، ص ٢١٨ ــ ٢١٩ ؛ فتحي أبو سيف ، خراسان ، ص ٢٣٤ ؛ إيراج إيران ، روايتي ديكرد درباره جشن نوروز ، مجلة إيران شناسي ، سال هفتم ، شماره ٤ ، زامستان ، ١٣٧٤ هـ.ش/ ١٩٩٦م ، ص ٨٢٢ ــ ٨٢٤ .

(٢) استادان متقدم ، نوروز ، يغما ، سال بيست وششم ، شماره أول ، فروردين ماه ، ١٣٥٢ هـ.ش، صفر ١٣٩٣ هـ شماره مسلسل ٢٩٥ ، ص ١ ــ ٥

(٣) المهرجان ، فارس يعرب بمعنى محبة الروح، وهو يوافق أول الشتاء ، انظر ، البيروني ، الآثار الباقية،ص ٢٢٢، أدي شير ، معجم الألفاظ الفارسية المعربة ، ص ١٤٧ .

(٤) البيروني ، الآثار الباقية ، ص ٢٢٢ ؛ العسكري ، الأوائل ، ص ٢٨٠ ؛ آدم متز ، الحضارة الإسلامية ،ص ١٩٩ ــ ٢٠٠ ، أدي شير ، المرجع السابق ، ص ١٤٧

(٥) آدم متز ، المرجع السابق ، ص ١٩١ ــ ١٩٤

(٦) فتحي أبو سيف ، المرجع السابق ، ص ٢٣٥ ــ ٢٣٦ ؛ سليحة رحمة الله،صور من الحياة الاجتماعية،ص٣٠-٣١

(٧) فتحي ابو سيف ، المرجع السابق ، ص ٢٣٦ ؛ سليحة رحمة الله ، صور من الحياة الاجتماعية ، ص ٢٣ ــ ٢٤

الحياة الثقافية :-

اللغة والأدب :

حينما دخل العرب أذربيجان وجدوا أن اللغة السائدة فيها هي اللغة الفهلوية كلغة أساسية (١) وهي لغة مقروءة ومكتوبة أمكن تدوينها بدليل أن حركة الترجمة التي شهدتها الدولة الإسلامية قد أخذت في بعض العلوم عن اللغة الفهلوية (٢).

أما عن المناطق الجبلية المحيطة بأذربيجان فقد شهدت تعدداً كبيراً في اللهجات تخطى حاجز السبعين لهجة (٣).

وبعد الفتح الإسلامي لأذربيجان بدأت حركة الدعوة الإسلامية تشهد تطوراً كبيراً ومرت بعدة مراحل ، خرجت بعدها منتصرة حتى غدت أذربيجان في نهاية المطاف إسلامية صرفة (٤) والعوامل التي ساعدت على ذلك جمع القرآن الكريم وتوحيد القراءات في عهد عثمان بن عفان ، حيث ساعد على دخول كثير من الناس في الإسلام (٥).

وترتب على دخول الناس الإسلام ازدياد الحاجة إلي دراسة وتعلم اللغة العربية لمعرفة أمور دينهم وصلاتهم ، وذلك أدي إلي ازدياد تواجد اللغة العربية بين الناس

---

(١) ابن النديم ، الفهرست ، ص ١٩ ؛ الخوارزمي ، مفاتيح العلوم ، ص ٧٧ ؛ ذبيح الله صفا ، تاريخ أدبيات إيران ، جـ١ ، ص ١٤١ – ١٤٢ ؛ إيراج افشار ، ياد داشتهاي قزويني ، جلد اول ، دانشكاه تهران ، شماره ٤٦٤ ، تهران ١٣٤٦هـ.ش ، ص ٣ .

(٢) إدوارد بروي ، تاريخ الحضارات العام ، ص ١٣٤ .

(٣) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٢٩٩ ؛ ابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ، ص ٢٩٥

(٤) ابن العربي ، العواصم من القواصم ، ص ٨٥ ؛ حسن أحمد محمود ، الاسلام في آسيا الوسطى ، ص ٣٠ ، سعيد عبد الفتاح عاشور ، بحوث في تاريخ الإسلام وحضارته ، ص ١٢٣ ؛ رمزية الحيرو ، الفتوحات العربية والإسلامية في بلاد فارس ، ص ٢٨٩ .

Tamara Dragadz : Azerbaijan, London , P. 19 .

(٥) ابن العربي ، المصدر السابق ، ص ٦٨ ، حورحي زيدان ، تاريخ التمدن الإسلامي ، جـ٣ ، ط القاهرة ، (د ت) ص ٦٥ ؛ كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص ١٣٤ ؛ محمد نجيب عوضين ، منهج الفقه الاسلامي بين الجزئية والنظرية ، مجلة الوعي الاسلامي ، العدد ٤٢٤ ؛ السنة ٣٧ ، ذو الحجة ١٤٢١هـ ، فبراير ومارس ٢٠٠١م ، ص ٤٤

في أذربيجان أضف إلي ذلك هجرة عدد من القبائل العربية إلي أذربيجان ومناطق آسيا الوسطى وحط كثير منهم الرحال بأذربيجان (١).

وفي عصر الخلفاء الراشدين، كان الحرص على نشر اللغة العربية يأتي من أعلى المستوي الهرمي للسلطة، فمنذ اليوم الأول لفتح أذربيجان حرص عمر بن الخطاب على نشر الإسلام واللغة العربية في أذربيجان، يتضح لنا ذلك من خلال الرسالة التي بعث بها رضي الله عنه إلي أبي عثمان النهدي والتي يأمره فيها بتعليم الناس الإسلام واللغة العربية(٢).

وفي عهد الأمويين كانت لديهم بصيرة نافذة وحنكة سياسة، حيث عمدوا إلي تعريب معظم البلدان الإسلامية، سواء أكانوا خلفاء أو ولاة(٣).

وكان من الطبيعي أمام هذه المحاولات أن تنتشر اللغة العربية ثم استعمالها، وأن يؤدي إلي انكماش وانزواء اللغات المحلية لتفسح المجال أمام العربية، وبعبارة أخرى فإنه مع الانتشار للإسلام ذلك الانتشار السريع من ناحية، وتغلغل القبائل العربية في المجتمعات الجديدة من ناحية أخرى، فكان من المتعذر على اللغات المحلية أن تستمر في صمودها، فأخذت تتقلص تدريجياً وتنكمش دائرة استعمالها لتفسح المجال أمام اللغة العربية(٤).

---

(١) الأصفهاني، الأغاني، جـ٢، ص ٢٠٥، ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص ٢٨٤؛ محمد كرد علي، الإسلام والحضارة العربية، جـ١، (د. ب. ن)، ص ١٧١، ١٧٢؛ حسين مجيب المصري، صلات بين العرب والفرس والترك، ص ٦٢؛ هاشم الملاح، دور العقيدة الإسلامية في تحقيق وحدة العرب الأولى، مجلة اداب المستنصرية، العدد الثامن، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ص ٦٣٣.

(٢) الربيدي الأندلسي، طبقات النحويين واللغويين، ص ١٢.

(٣) السباعي محمد السباعي،المسلمون والسغول،مجلة الدراسات الشرقية، العدد الأول - يونيو/ديسمبر،١٩٨٣م،ص ٥

(٤) سعيد عبد الفتاح عاشور، بحوث في تاريخ الإسلام وحضارته، ص ١٥٢؛ محمود محمد السيد، اللغة العربية وروح العصر، مجلة التعريب، تصدر عن المركز العربي للتعريب والترجمة بدمشق، العدد ٢٥، يونيو ٢٠٠٣م، ص ١٤ – ١٥؛ مسعود بوبو، من تاريخ اللغة العربية، مجلة دراسات تاريخية، السنة العاشرة، سبتمبر ١٩٨٩، ص ١٦٢ – ١٦٣.

وأقبل السكان على تعلم اللغة العربية ودراسة آدابها ، وأخذوا يصوغون أفكارهم وعلومهم وآدابهم بما ينسجم والدين الإسلامي والتقاليد العربية ، فأصبحت اللغة السياسية والثقافية السائدة هي العربية . ولذلك فإن الشعوب غير العربية فقدت ذاتيتها اللغوية بمرور الزمن للتقرب من الفاتحين ، وقد أدي انتشارها إلي شعور شعوب هذه البلدان بالانسجام والتجانس ، بالرغم من اختلاف قومياتهم وأديانهم ، فوحدت العربية انتماءهم وشعورهم وأهدافهم . وكان لها الأثر الفعال في إقبال الكثير من غير المسلمين على الدخول في الإسلام ويجب أن نعلم أن إقبال الشعوب غير العربية على تعلم اللغة العربية وترك لغتهم الأصلية لم يكن بسبب الإكراه أو الإجبار ، فتكون من مزيج تلك الحضارات ، حضارة مطبوعة بالطابع العربي والأسلوب الإسلامي (١) .

وهذا الرأي هو تعبير حي عما حدث في أذربيجان ، إذ أنه بمرور الوقت تغلغلت العربية في المجتمع الأذربيجاني وصارت هي اللغة الرئيسية وأصبحت اللغة السياسية والثقافية مع وجود أقلية لغوية ممن يتحدثون الفارسية والفهلوية . ولكن كلا الجانبين كان يتقن ويجيد لغة الآخر ، ولم تكن هناك مشكلة في التعامل والتخاطب (٢) .

ويمكن القول أن الإسلام واللغة العربية قد احتويا بقية فئات ولغات المجتمع وحدث الامتزاج الكبير في المجتمعات الإسلامية لا سيما غير العربية منها وحدث التأثير

---

(١) ادوارد دروي ، تاريخ الحضارات ، ص ١٣١ ، توفيق سلطان اليوزبكي ، التعريب في العصرين الأموي والعباسي، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الرابع والعشرون ١٩٧٧م ، ص ٣ ، أحمد فواد متولي ، الألفاظ العربية في اللغة التركية ، مجلة الدراسات الشرقية ، العدد الأول ، يونيو / ديسمبر ١٩٨٣ م ، ص ٥٧
Bernard G Weiss and Arnold H Green : Asurvy of Arab History, the American university in Cairo press, P. 289 – 290

(٢) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٢٩٩ ، محمد كرد علي ،الإسلام والحضارة العربية ، جـ١ ، ص ١٧٥

والتأثر مع غيرها من اللغات ، وأدي ذلك إلي ظهور بعض الناس من فئات المجتمع المختلفة الذين يجيدون العربية والفارسية أو ذوى اللسانين (١) .

وساعد على انتشار اللغة العربية كون الصلاة بها فرضاً على كل أعجمي انتحل الإسلام . فالأعجمي يسلم ويتعرب ، وإذا لم يسلم يضطره الحال إلي تعلم لغة الدولة القائمة فيقرب من العواطف العربية ، ثم إن اللسان العربي على سعته وسلاسته لم يقف ولم يحمد بل نقل ألفاظاً من الفارسية والتركية ، وترك ألفاظاً عربية كانت مألوفة في عصور سالفة كما أقبل البعض على اللغة العربية تحقيقاً لمكاسب مادية ومعنوية ، وأقبل العرب على التزوج من الأجنبيات في البلاد المفتوحة ، مما كان له الأثر في إقبالهم على تعلم العربية وإتقانها وانتقل ذلك إلي نشاط تجارة الرقيق وأخذ النخاسون يعلمون الجواري الفارسيات والروميات والتركيات اللغة العربية (٢) .

وهناك عامل آخر أكثر عمقاً وأبعد أثراً في تعميق الحياة الثقافية العربية الإسلامية في مدينة أذربيجان ، ولا نبالغ إذا جزمنا أنه أهم عامل ، وهو تواجد عدد من الصحابة والتابعين في أذربيجان سواء ممن أقام بها أو مر بها ولبث فيها حينا من الدهر ، ومما لاشك فيه أن دورهم كان نفسياً ومعنوياً في إقبال الناس على مختلف طبقاتهم إلي الدخول في الإسلام وتعلم اللغة العربية ، ومن أمثال هؤلاء الصحابي الجليل جرير بن عبد الله البجلي ؛ الذي أسلم في سنة ١٠ هـ / ٦٣١ م ، حينما قدم في وفد بجلية اليمنية وبايع النبي صلي الله عليه وسلم ثم أرسله صلي الله عليه وسلم لهدم صنم ذي الخلصة الذي كان

---

(١) مصطفي الشكعة ، معالم الحضارة الإسلامية ، ط بيروت ، (د ت) ص ١٣٤ ، ١٣٥ ، حسين الحاج ، الحضارة العربية في العصر العباسي ، ط بيروت ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤م ، ص ٥٢ ؛ ط ندا ، الفارسية وعيوب المنطق العربي ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ، المجلد ١٥ ، ١٩٦١م ، ص ٩٦ ، محمد نور الدين عبد المنعم ، مراعاة قواعد اللغة العربية في الفارسية ، مجلة الدراسات الشرقية ، العدد الثاني ، يوليو ١٩٨٤م ، ص ٣١ .

(٢) محمد كرد علي ، الإسلام والحضارة العربية ، جـ١ ، ص ١٧١ ـ ١٧٢ ، توفيق سلطان اليوزبكي ، التعريب في العصرين الأموي والعباسي ، ص ١٠٩

يعده البجليون وشارك في الفتوحات الإسلامية في نواحي وبلدان شتى ، ومن ثم استقر به المقام في أذربيجان وأخذ يدعو الناس إلي الإسلام ويهديهم إلي طريق الله ، وظل يدعو إلي الله إلي أن وافته المنية بها سنة ٥٢هـ / ٦٧٢م [١] وكانت ذرية بعضها من بعض إذ خلفه في الدعوة الإسلامية والثقافية العربية من بعده حفيده أبو زرعة الذي قصي حياته يدعو للإسلام في أذربيجان [٢] .ومن أشهر الديوتات التي شرفت بها أذربيجان حين وطئتها بيت الصحابي الجليل البراء بن عازب ، الذي نزل أذربيجان وطاف مدنها يدعو للإسلام . [٣] وبعد رحيله ترك ابناه يزيد وسويد ليكملا طريق الدعوة [٤] .

وزيد بن وهب الجهني ، الذي أسلم على عهد رسول الله صلي الله عليه وسلم ولم يره وبعد وفاته صلي الله عليه وسلم انساح في البلاد مجاهداً وداعياً إلي الإسلام إلي أن حط به الرحال في أذربيجان [٥] وأسهم بدور كبير في فتوحات أذربيجان ومناطق القوقاز ولعب دوراً كبيراً في الدعوة إلي الإسلام ومحاولة نشر اللغة العربية [٦] .

---

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، جـ٦ ، ص ١٠٢ – ١٠٣ ؛ ابن حبيب البغدادي ، المحبر ، ص ٣٠٢ ، البخاري ، التاريخ الكبير ، جـ٦ ، ص ٢١١ ؛ ابن قتيبة ، المعارف ، ص ٢١٩ ، البغدادي ؛ تاريخ بغداد ، أو مدينة السلام ، جـ١ ، ط القاهرة ، (د ت) ص ١٨٨ – ١٨٩ ، العامري اليمني ، الرياض المستطابة ، ضبط وتصحيح نصر الديراوي ، ط٢ بيروت ، ١٩٧٩م ، ص ٤٦ – ٤٧ ؛ حمزة النشرتي وآخرون ، تاريخ الصحابة والتابعين ، مجـ٤ ، (د. ب ن) ص ١٦٤ – ١٧٠ .

(٢) ابن قتيبة ، المعارف ، ص ٢٩٢ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، جـ٥ ، ص ٨

(٣) القزويني ، التدوين في أخبار قزوين ، جـ١ ، ص ٦١

(٤) ابن سعد ، المصدر السابق ، جـ٤ ، ص ٣٦٤ ، ٣٦٨ ؛ الصدفي ، نكت الهميان في نكت العميان ، ط القاهرة ، ١٩١١م ، ص ١٢٤ – ١٢٥ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، جـ٣ ، ص ١٩٥ ؛ ابن الجوزي ، تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير ، ط القاهرة ، (د ت) ، ص ١٥٣

(٥) ابن سعد ، المصدر السابق ، جـ٦ ، ص ١٠٢ – ١٠٣ .

(٦) أبو نعيم ، حلية الأولياء ، جـ٤ ، ط بيروت ، (د ت) ص ١٧١ – ١٧٢ ؛ العسقلاني ، الاصابة في تمييز الصحابة ، جـ٣ ، ص ٤٦ – ٤٧

وقد ذكر المؤرخون أن الزبير بن العوام حواري رسول الله صلي الله عليه وسلم وأحد العشرة المبشرين بالجنة قد أقام زمنا في أردبيل بعد أن شارك في الفتوحات الإسلامية ، وله فيها صفحات مشرقة(١) .

وعمرو بن معد يكرب الذي أسلم بعد غزوة تبوك ، وانتقل بعد وفاة الرسول صلي الله عليه وسلم إلي العراق والشام وشهد فتوحات الإسلام بها ، وشهد فتوحات أذربيجان وطاف على مدنها المختلفة ، وأقام بها بعد أن وضعت الحرب أوزارها ، وكان مصاحباً لسلمان بن ربيعة الباهلي في فتوحاته (٢).

وأبو عثمان النهدي الذي صحب النبي صلي الله عليه وسلم ، وهو أحد المخضرمين الذين شهدوا الإسلام والجاهلية ، وصحب كلاً من سلمان بن ربيعة الباهلي وعتبة بن فرقد أثناء إقامتهما في أذربيجان(٣) .

وصفوان بن المعطل السلمي الصحابي الجليل ، الذي شهد فتوحات كل من أرمينية وأذربيجان ، وطاف بمدنهما داعياً إلي الإسلام ، إلي أن وافته المنية بأرمينية(٤) .

---

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، جـ٦ ، ص ١٠٢ – ١٠٣ ؛ ابن قتيبة ، المعارف ، ص ٢١٩ . العسقلاني ، الإصابة ، جـ٦ ، ص ٥ ؛ عبد المنعم قنديل ، حياة الصالحين ، ط القاهرة (د ت) ، ص ٧٩ – ٨٠ .

(٢) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١٥ ، ص ٢٠٨ – ٢١٥ ، ٢٤٤ .

(٣) ابن قتيبة ، المعارف ، ص ٤٢٦ ؛ العسقلاني ، الإصابة ، جـ٤ ، ص ٣٩ ؛ الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، جـ١ ، ص ٦٥ – ٦٦ ؛ الحنبلي ، شذرات الذهب ، جـ١ ، ص ١١٨ .

(٤) العسقلاني ، الإصابة ، جـ٣ ، ص ٢٥٠ ، عزيزة فوال بابتي ، معجم الشعراء المخضرمين والأمويين ، ص ٢١٢ .

ومعضد بن يزيد العجلي ، الذي صحب الأشعث بن قيس فترة ولايته أذربيجان وقضي حياته فيها داعياً للإسلام ، وبعد عودة الأشعث من أذربيجان ظل مقيما بها ليواصل دعوته(١) .

وعبد الله بن شديل الأحمسي ، وهو من جلة الصحابة ، زار أذربيجان وأقام فيها ردحاً من الزمن ، وكان في صحبة الوليد بن عقبة بن أبي معيط عندما غزا أذربيجان في عهد عثمان بن عفان(٢) .

وعمرو بن معاوية بن المنتفق ، الذي أدرك النبي صلي الله عليه وسلم ، وهاجر إلي أذربيجان وأقام بها ، وولي أذربيجان لمعاوية بن أبي سفيان لفترة قصيرة قبل أن يوليه الأهواز ، وأسهم بدور فعال في الصوائف والشواتي(٣) .

وبكير بن الشداخ ، الذي كان في طليعة الجنود الذين دخلوا أذربيجان ، وشهد فتوح عدد من مدن أذربيجان ومات في إحداها وهي موقان(٤) .وقد ذكر الأصفهاني(٥) أن طليحة الأسدي كان ملازماً لعمرو بن معد يكرب ، في إقامته في أذربيجان ، وكان لهما دور كبير في فتوحات عدد من مدن أذربيجان وأظهرا فيها شجاعة كبيرة لا سيما عند قتال الخارجين على الإسلام(٦) . وأبو محجن الثقفي ، الذي كانت له وقائع مشهورة في تاريخ

---

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، جـ٦ ، ص ١٦٠ – ١٦١ .
(٢) العسقلاني ، الإصابة ، جـ٤ ، ص ٨٤
(٣) العسقلاني ، نفس المصدر ، جـ٥ ، ص ١١٩ .
(٤) الكلبي ، نسب الخيل في الجاهلية والإسلام وفرسانها ، ط لوندن ، ١٩٢٠ م ، ص ٥٣
(٥) الأغاني ، جـ١٥ ، ص ٤٤ .
(٦) ابن حبيب البغدادي ، المحبر ، ص ٢٦١ ، العسقلاني ، الإصابة ن جـ٥ ، ص ١٨ – ١٩ ، ابن المغربي ، الايناس بعلم الأنساب ، حققه وقدم له ووضع فهارسه إبراهيم الإبياري ، ط٢ القاهرة وبيروت ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠م ، ص ١٥١ .

الإسلام . لا سيما في معركة القادسية[١] وبعد القادسية هاجر إلي أذربيجان واستقر بها . وقضي بها ما تبقي من حياته[٢] .

هذا بخلاف الصحابة الأجلاء الذين قادوا العمليات العسكرية . أمثال سلمان بن ربيعة الباهلي وأخاه عبد الرحمن . والأشعث بن قيس ، وحذيفة بن اليمان ، وعتبة بن فرقد ، والوليد بن عقبة بن أبي معيط . وقد فصلنا دورهم رضوان الله عليهم أجمعين في الجوانب السياسية والعسكرية . ومما لا شك فيه أن دورهم لم يتوقف على الجوانب السياسية والعسكرية ، بل امتد إلي النواحي الثقافية والاجتماعية . ومن المؤكد أنهم أدلوا بدلوهم في الدعوة إلي الإسلام والثقافة العربية .

ومن أشهر الفقهاء والمحدثين الذين نزلوا أذربيجان ، وتتلمذ على يديهم الكثير من أبناء أذربيجان وتخرج على أيديهم فقهاء ومحدثون من أمثال الفقيه عدي بن عدي بن غفير بن زرارة ، الذي عاش في أذربيجان في عهد عبد الملك بن مروان ، ورباح بن سالم بن غاضرة ، الذي عاش في كنف على بن أبي طالب وتعلم منه وتفقه على يديه وبعد وفاته انتقل إلي أذربيجان وأقام بها[٣] .

ووجود أمثال هؤلاء الأعلام في أذربيجان كان حرياً بأهلها أن ينهلوا من علمهم ويسارعوا إلي التتلمذ على أيديهم والأخذ عنهم . فخرج لنا فقهاء ومحدثون أمثال أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، صاحب كتاب " غريب القرآن " و " غريب الحديث " و " المعارف " و " عيون الأخبار " و " طبقات الشعراء " وغيرها من الكتب وتوفى سنة ٢٧٦ هـ / ٨٨٩م[٤] .

---

(١) ابن سلام ، طبقات فحول الشعراء ، جـ١ ، ص ٢٦٨ ــ ٢٦٩ ؛ الدينوري ، الشعر والشعراء ، ص ٢٧٢

(٢) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ١٩ ، ص ١ ــ ٣ ، ١٣ ؛ عزيزة فوال ، معجم الشعراء المخضرمين والأمويين ، ص ٤٣٠

(٣) ابن حزم الأندلسي ، جمهرة أنساب العرب ، ط بيروت ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣م ، ص ٢٣٨ ، ٤٢٦ .

(٤) الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، جـ٢ ، ص ٦٣٣ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، جـ١٣ ، ص ٢٩٦ ــ ٣٠٠

والحافظ أبو زكريا يحي بن عبد الأعظم ، الذي كانت له مكانة كبيرة في علم الحديث وتوفي سنة ٢٧١هـ / ٨٨٤ م[١] ، والحافظ نصر الأردبيلي[٢] والفقيه محمد بن جعفر[٣] وأحمد بن حرب الأردبيلي[٤] ومحمد بن إبراهيم الأردبيلي[٥] وعز الدين بن يوسف الأردبيلي ، وفرح بن محمد بن الحسن الأردبيلي[٦] .

وعليه نخلص من ذلك أن أذربيجان بصفة عامة وأردبيل بصفة خاصة كانت تعج بالفقهاء والمحدثين[٧] .

أما بالنسبة لعلم النحو فقد نشأ نتيجة اختلاف اللهجات المتعددة والاختلاف بين الموالي والصناع ممن يتكلمون الفارسية ، وتعرض اللغة العربية إلي شئ غير قليل من اللحن والفساد ، فدعت الضرورة إلي تقويم اللسان العربي ، وحتى لا يتعرض القرآن الكريم للتحريف ، ولذلك فقد اقتضت هذه الضرورة ظهور ووجود علم النحو[٨] .

وقد وجد علم النحو والصرف جنباً إلي جنب مع بقية العلوم ، ولا سيما أنه تطور تطوراً كبيراً في العصر العباسي[٩] وقد ساهم علماء اللغة الذين زاروا أذربيجان أو أقاموا فيها بتطور علم النحو فيها ، ومن أمثال هؤلاء قطرب النحوي[١٠] الذي زار المدينة وأقام فيها وألقي دروسه العلمية على تلامذته في أذربيجان الذين أتوا إليه من كل أذربيجان[١١] فتتلمذ على يد أبو بكر محمد بن

---

(١) الذهبي،سير أعلام النبلاء،جـ١٢، ص ٥٠٨ ؛ السيوطي ، طبقات الحفاظ ، ط بيروت ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، ص ٢٥٨ - ٢٥٩.
(٢) الأصبهاني ، تاريخ أصبهان ، جـ٢ ، ص ٣٠٠ .
(٣) القزويني ، التدوين في أخبار قزوين ، جـ١ ، ص ٢٤٠ .
(٤) السهمي ، تاريخ جرجان ، ط بيروت ، ١٩٨٧م ، ص ١٦٠
(٥) مجهول ، تراجم لبعض العلماء ، مخطوط بمكتبة الإسكندرية تحت رقم ٣٩٣٨ / و فنون منوعة ،ورقة ٢٥ .
(٦) ابن عزم ، دستور الأعلام بمعارف الإعلام ، جـ١ ، ورقة ١٤ .
(٧) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٢٩٩ ؛ لم يقف الباحث على تاريخ وفاة للعلماء ممن لم يرد له تاريخ وفاة
(٨) حسين الحاج ، حضارة العرب في العصر العباسي ، ص ٨٦ — ٨٧.
(٩) ابراهيم أيوب ، التاريخ العباسي السياسي والحضاري ، ص ٢٦٩ — ٢٧٠
(١٠) قطرب هو أبو علي محمد بن المستنير ، وقطرب نسبة إلي دابة تدب في الأرض ولا تفتر ، أخذ عن سيبوية ، انظر : ابن قنفذ ، الوفيات تحقيق عادل نويهض ، ط بيروت ، ١٩٧٨ م ، ص ١٥٨ ؛ البغدادي ، تاريخ بغداد ، جـ ٣ ، ص ٢٩٨ — ٢٩٩
(١١) ابن النديم ، الفهرست ، ص ٧٨ ؛ الأصبهاني ، الأغاني ، جـ١٤ ، ص ٣٣٢ ؛ الزبيدي الأندلسي ، طبقات النحويين واللغويين ، ص ٩٩ — ١٠٠

على المراغي ، الذي ألف كتباً في النحو منها كتاب " **شرح شواهد سيبوية وتفسيرها** "(١).

وأخرجت أذربيجان أبا الفتح محمد بن جعفر الذي عمل في مناهج النحو ووضع كتاب " **الاستدراك لما أغفله الخليل** "(٢) وأبا الفضل عبد العزيز بن على بن عبد العزيز الأشنهي(٣).

ومن أشهر من نزل أذربيجان من علماء النحو والحديث معاً عيسي بن يونس(٤) ومحمد بن حسان الضبي النحوي ، الذي قدم أذربيجان في العصر العباسي وأقام بها منذ عصر الخليفة المأمون(٥).

أما بالنسبة للشعر فقد ازدهر كثيراً لا سيما في العصر الأموي ، بحيث تراجع أمامة الشعر الفارسي وانحسر ، وغدا الشعر العربي يرنوا إلي آفاق جديدة(٦) وتطور الشعر في العصر العباسي ونهج مناهج جديدة في المعاني والموضوعات والأساليب(٧).

ومن العوامل الرئيسية التي ساعدت على تطور الشعر العربي في أذربيجان ولاتها في العصرين الأموي والعباسي ، حيث أنهم وبطريقة غير مباشرة قدموا خدمة جليلة للشعر العربي في أذربيجان حيث أنهم اصطحبوا معهم في فترة ولايتهم للمدينة فحول

---

(١) ابن النديم ، الفهرست ، ص ١٢٧ .
(٢) ابن النديم ، نفس المصدر ، ص ١٢٧ – ١٢٨ .
(٣) الإسنوي ، طبقات الشافعية ، جـ١ ، ص ٥٨ .
(٤) البخاري ، التاريخ الكبير ، جـ٦ ، ص ٤٠٦ ؛ العسقلاني ، تهذيب التهذيب ، جـ٨ ، تحقيق مصطفي عبد القادر على ، ط بيروت ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م ، ص ٢٠٥ – ٢٠٧
(٥) السيوطي ، بغية الوعاة ، جـ١ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط بيروت ، (د ت) ، ص ٧٥
(٦) حسين الحاج ، حضارة العرب في العصر العباسي ، ص ١٣٤ ؛ عبد الوهاب علوب ، الشعر الفارسي ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، مجلد ٥٥ ، العدد ٣ ، يوليو ١٩٩٥ ، ص ٣٠ .
(٧) إبراهيم أيوب ، التاريخ العباسي السياسي والحضاري ، ص ٢٦٩ – ٢٧٠ .

الشعراء أمثال مسلم بن الوليد[١] الذي صحب يزيد بن مزيد الشيباني أثناء ولايته أذربيجان وجادت قريحته بعدد من القصائد التي خلدها التاريخ[٢] وهي وإن كانت تهدف إلي مدح يزيد وغرضها أن يستدر أمواله ، إلا أنها قدمت تجربة شعرية يمكن الاستفادة والتعلم منها .

وأبو تمام[٣] الذي قضي فترة طويلة في أذربيجان ، امتدت منذ عهد ولاية خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني أذربيجان[٤] .

والأحوص الشاعر[٥] الذي وفد على أذربيجان في ولاية الجراح بن عبد الله الحكمي[٦] .

وربيعة الرقي[٧] الذي عاش في كنف يزيد بن أسيد السلمي ، وكان في صحبته أثناء ولايته أذربيجان[٨] .

---

(١) مسلم بن الوليد ، نشأ في الكوفة ، وهو شاعر مقدم جيد النمط ، حسن القول ، عرف بصريع الغواني ، توفي سنة ٢٠٨هـ / ٨٢٣ م ، انظر : الآويني ، سمط اللآلئ في شرح أمالي القالي ، جـ١ ، تحقيق د/ عبد العزيز الميمني ، ط بيروت ، (د.ت) ص ٤٢٧ ، الكتبي ، فوات الوفيات ، جـ٤ ، تحقيق د/ إحسان عباس ، ط بيروت ، (د.ت) ص ١٣٦ ؛ سلمان هادي الطعمة ، أعلام الشعراء العباسيين ، ط بيروت ، ١٩٨٧ ، ص ٣٩ – ٤١ .

(٢) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ١٩ ، ص ٣١ ، ٤٢ ؛ مصطفي الشكعة ، الشعر والشعراء في العصر العباسي ، ط بيروت ، ١٩٨٠م ، ص ٢٢٩ .

(٣) أبو تمام : هو حبيب بن أوس الطائي ، من خيرة شعراء العصر العباسي ، توفي سنة ٢٢٩ هـ / ٨٤٣م .
انظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، جـ٢ ، ص ١١ – ٢٤ ؛ ابن قتيبة ، الوفيات ، ص ١٦٨ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، جـ١١ ، ص ٦٣ – ٦٨ ، بطرس البستاني ، أدباء العرب ، جـ٢ ، (د. ب.ن) ، ص ٩٢ – ٩٣ ؛ الزركلي ، الأعلام ، جـ٢ ، ص ١٦٥ .

(٤) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ١٦ ؛ ص ٣٨٣ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ – ٣٩١ .

(٥) الأحوص - هو عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عاصم بن ثابت الأنصاري ، ولقب بالأحوص لضيق في مؤخرة عينه ، عاصر جرير والفرزدق ، انظر : الدينوري ، الشعر والشعراء ، ص ٣٤٥ – ٣٤٦ ؛ ابن سلام الجمحي ، طبقات الشعراء ، ط بيروت ، ١٩٨٢م ، ص ١٨٦ – ١٨٨ ، الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، جـ٤ ، ص ٥٩٣ ؛ عزيزة فوال ، معجم الشعراء ، ص ١٠ .

(٦) ابن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، جـ٢ ، ص ٦٥٦ – ٦٥٨ ، الآويني ، المصدر السابق،جـ١،ص ٧٣ ، الأصفهاني ، الأغاني ، جـ٤ ، ص ٣٥٦ .

(٧) ربيعة الرقي هو ربيعة بن ثابت الأسدي ، مولده ونشأته في مدينة الرقة ، اشتهر بشعر الغزل .
انظر : عزيزة فوال ، معجم الشعراء ، ص ١٥٧ ؛ محمود مصطفي ، إعجام الأعلام ، ص ١١٤ .

(٨) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ١٦ ، ص ٢٤٥ ، ٢٦٢ .

وعلي بن الخليل[١] الذي عاش في أذربيجان فترة طويلة وطاف مدنها أثناء ولاية يزيد بن مزيد الشيباني وظل فيها حتى بعد عودته منها[٢].

والشاعر دعبل[٣] الذي عاش في أذربيجان، وأخذ يتنقل بين مدنها الرئيسية واستقر به المقام أخيراً في مدينة الدينور[٤].

ومما لاشك فيه أن تواجد فحول الشعراء والمخضرين في أذربيجان لم يكن ليمر على مثقفيها ومتعلميها مر الكرام، بل أنه أثري الحياة الثقافية فيها والدليل على ذلك خروج شعراء كان لهم الأثر البالغ في الحياة الثقافية، بما قدموه من تجارب شعرية؛ ومن هؤلاء الشعراء الشاعر موسى شهوات[٥] الذي عاش عصر الدولة الأموية، وفي كنف خلفائها وولاتها واشتهر بمدحهم بقصائد مطولة، واشتهر بإقراضه شعر الحكمة ومدح الخلفاء الولاة[٦].

---

(١) علي بن الخليل: أحد شعراء الكوفة وظرفائهم، وطبقته يتصاحبون على المجون والخلاعة، وقد أتهم بالزندقة في خلافة هارون الرشيد، انظر: المرزباني، معجم الشعراء، تهذيب المستشرق سالم الكرنكوي، ط بيروت، (د.ت)، ص ٢٨٣.

(٢) الأصفهاني، الأغاني، جـ١٤، ص ١٧٤، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢.

(٣) دعبل: هو دعبل بن علي الخزاعي، ودعبل تعني البعير المسن أو الشيء القديم، انظر الأويني، سمط اللآلئ، جـ١، ص ٣٣٣ – ٣٣٤؛ مصطفى الشكعة، الشعر والشعراء في العصر العباسي، ص ٣١٩؛ بطرس البستاني، أدباء العرب، جـ٢، ص ١١٣؛ أحمد جاسم النجدي، رواية الشعر العباسي وتدوينه، مجلة كلية الآداب، جامعة المستنصرية، العدد الثالث عشر، ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦م، ص ٣٩

(٤) الدينوري، الشعر والشعراء، ص ٥٧٦، الأصفهاني، الأغاني، جـ٢٠، ص ١٢٠، ١٨٣.

(٥) موسى شهوات، وسمي شهوات لأنه قال ليزيد بن معاوية يا مضيع الصلاة للشهوات، وقيل لأنه كان يجلب الخمر والسكر من أذربيجان فقيل: كان يجلب الشهوات، انظر الدينوري، الشعر والشعراء، ص ٣٨٣؛ الأويني، سمط اللآلي، جـ٢، ص ٨٠٧، الحموي، معجم الأدباء، جـ١٩، ط القاهرة، ١٩٨٠م، ص ١٩٩ – ٢٠٠

(٦) الدينوري، الشعر والشعراء، ص ٣٨٣؛ الأصفهاني، الأغاني، جـ٣، ص ٣٥١ – ٣٦٠؛ الحموي، معجم الأدباء، جـ١٩، ص ١٩٩ – ٢٠٠؛ محمود مصطفى، اعجام الإعلام، ص ١٩١؛ محمد علي تربيت دانشمدان آذربيجان، جاب أول، تهران، ١٣١٤ هـ ش، ص ٣٦٣.

وإسماعيل بن يسار النسائي الذي عرف بشعوبيته وشدة تعصبه للعجم وافتخاره بهم في شعره وتفضيله إياهم على العرب ، واشتهر بمدحه خلفاء بني أمية[١] وابنه محمد بن إسماعيل بن يسار الذي جادت قريحته بكثير من ألوان الشعر[٢] .

وعيسى بن الحسين الوراق الذي عرف بأبي الأسد ، ونبغ ونضج الشعر لديه في العصر العباسي ، وهو مليح النوادر مزاحاً خبيث الهجاء ، صحب أبا دلف[٣] في ولايته أذربيجان ، وكان له قصائد شعرية في مدح ولاة أذربيجان[٤] .

وبالرغم من أن بعض هؤلاء الشعراء قد أتهم بالتعصب للعجم والنقمة على العرب إلا أن ذلك لم يمنع من إثراء الحياة الأدبية والثقافية والتجربة الشعرية في أذربيجان.

النشاط العلمي في أذربيجان :-

تنوع النشاط العلمي في أذربيجان وشمل مجالات عدة ، وسوف نعرض لبعض العلماء الذين حوتهم فترة البحث التاريخية ممن أدلوا بدلوهم في الحياة الثقافية في أذربيجان ، مع الأخذ في الاعتبار أن هؤلاء العلماء كانوا يجمعون بين الحديث والأدب واللغة ، بحيث أن العالم منهم يعتبر محدثاً وفقيهاً ولغوياً ، أي جامعاً لتلك العلوم .

---

(١) الأويني ، سمط اللآلئ ، جـ١ ، ص ٦٢ ، نبيح الله صفا ، شرايط اجتماعي وسياسي ايران بعد از سقوط ساسانيان ، مجلة ايران شناسي ، سال دوم ، شماره ، ١٣٣٩ هـ ش / ١٩٩٠ ، ص ٢٣٩ – ٢٤٠

(٢) المرزباني ، معجم الشعراء ، ص ٤١٤ ؛ عزيزة فوال بابتي ، معجم الشعراء ، ص ٣٩٤ .

(٣) أبو دلف : هو القاسم بن عيسى العجلي ، من أشهر قواد المأمون ومن بعده المعتصم ، تولى ابان حروب القوقاز ، وكانت له وقائع في حرب بابك الخرمي . اشتهر باصطحابه الشعراء والأدباء في رحلاته . انظر : مجهول ، كتاب في التاريخ ، مخطوط بمكتبة الإسكندرية تحت رقم ٤٠٣١ / و تاريخ ، ورقة ٣٠٨ ؛ الأويني ، المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٣٣١ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، جـ١٠ ، ص ٥٦٣ – ٥٦٤ ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، جـ٤ ، ص ٧٣ – ٧٨ .

(٤) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ١٤ ، ص ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٣٩ .

عبد الله بن إدريس :

ولد سنة ١١٥هـ / ٧٣٣م ، في أذربيجان[١] وكان عابداً فاضلاً ، ووصف بأنه كان نسيج وحده ، سلك في فتياه مسلك أهل المدينة ، وكان بينه وبين الإمام مالك صداقة وهو إمام أئمة المسلمين في أذربيجان[٢] .

تولى قضاء الموصل للخليفة المنصور ، ورفض تولي قضاء الكوفة لهارون الرشيد[٣] وتوفي عبد الله بن إدريس سنة ١٩٢هـ / ٨٠٧ م[٤] .

محمد بن حرب الطائي :

من علماء أذربيجان وفقهائها وأشهر محدثيها ، كان إماماً في العلوم الدينية لا سيما الفقه ، تفقه على أيدي علماء الفقه والحديث ، ومات كهلاً سنة ٢٥٣ هـ / ٨٦٧م فرثاه أخوه علي فقال :

وبين جوانحي زفرات حزن ... لدمعي من مآقيه وكيف

أبعد محمد ألهو بأمر ... يلذ المجاور المطيف[٥]

يلذ المجاور المطيف[٦]

---

(١) الأزدي ، تاريخ الموصل ، جـ٢ ، ص ٣٤٩ .

(٢) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، جـ٦ ، ص ٣٨٩ ؛ البخاري ، التاريخ الكبير ، جـ٥ ، ص ٤٧ ؛ العسقلاني ، تهذيب التهذيب ، جـ٥ ، ص ١٢٨ – ١٢٩ ؛ الرازي ، الجرح والتعديل ، جـ٥ ، ط بيروت ، (د.ت) ، ص ٨- ٩ .

(٣) الأزدي ، المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٣٤٩ ؛ البغدادي ، تاريخ بغداد ، جـ٩ ، ص ٤١٥ – ٤٢١ .

(٤) ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، جـ٩ ، ص ٢٠٢ – ٢٠٥ ؛ الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، جـ١ ، ص ٢٨٢ – ٢٨٣

(٥ البلاذري ، أنساب الأشراف ، تحقيق محمد باقر المحمودي ، ط بيروت ، ١٩٧٧م ، ص ٩١ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، جـ١٢ ، ص ٢٥٤ – ٢٥٥ ؛ ابن هداية الله الحسيني ، طبقات الشافعية ، تحقيق عادل نويهض ، ط بيروت ، ١٩٨٢م ، ص ٧٠ – ٧١ .

(٦) البلاذري ، أنساب الأشراف ، تحقيق محمد باقر المحمودي ، ط بيروت ، ١٩٧٧م ، ص ٩١ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، جـ١٢ ، ص ٢٥٤ – ٢٥٥ ؛ ابن هداية الله الحسيني ، طبقات الشافعية ، تحقيق عادل نويهض ، ط بيروت ، ١٩٨٢م ، ص ٧٠ – ٧١ .

علي بن حرب الطائي :

ولد بأذربيجان سنة ١٧٥هـ / ٧٩١م ،[١] ثم ارتحل في طلب الحديث إلي البلاد والآفاق . وتتلمذ على أيدي سفيان بن عيينة ، ووكيع وابن فضيل ، وسمع الحديث من الإمام أحمد بن حنبل . وصف بأنه كان صدوق وثقة ، اشتهر بعلمه وبمعرفته بأخبار العرب وأنسابهم ، أجاد الشعر وكان حاذقاً بالأدب ، مات سنة ٢٦٥هـ / ٨٧٨ م ، وقد جاوز التسعين عاماً [٢] .

أحمد بن حرب الطائي :

هو أخو محمد وعلي بن حرب ، ولد سنة ١٧٤هـ / ٧٩٠م ؛ تفقه على يد سفيان بن عيينة وعبد الله بن إدريس ، وحدث عنه الإمام النسائي ، وصف بالورع والتقوى وجبل على حب الجهاد في سبيل الله والمرابطة في الثغور الإسلامية ، وقد ذكره ابن حبان في الثقات ، وتوفى سنة ٢٦٣هـ / ٨٧٦م[٣] .

معاوية بن حرب الطائي :

ولد سنة ٢٠٠ هـ / ٨١٥م ، بأذربيجان ، واشتهر كأخوته برواية الحديث وتفقه وتبحر في الأدب وأقرض الشعر وتوفى سنة ٢٨١هـ / ٨٩٤م[٤] .

يعقوب الأردبيلي :

هو أبو الحسين يعقوب بن موسى الأردبيلي ، من مشاهير العلماء والفقهاء ، اتفق على أن مولده ونشأته في أردبيل ، وطاف البلاد الإسلامية طلباً للعلم والحديث ، وأخذ رواية الحديث عن الإمام أحمد بن حنبل .[٥]

---

(١) البغدادي ، تاريخ بغداد ، جـ١١ ، ص ٤١٩ ــ ٤٢٠ ، الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، جـ١٢ ، ص ٢٥١ ــ ٢٥٣

(٢) الرازي ، الجرح والتعديل ، جـ٦ ، ص ١٨٣ ، أبو يعلى الحنبلي ، طبقات الحنابلة ، جـ١ ، تحقيق أسامة بن حسن وحازم مهدت ، ط بيروت ، (د.ت) ،ص ٢١١ ، ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ١٢ ، ص ٢٠٠ـ ٢٠١ ، بكر أبو زيد ، طبقات النسابين ، ط الرياض ، ١٩٨٧م ، ص ٦٦

(٣) الذهبي،سير أعلام النبلاء ، جـ١٢ ، ص ٢٥٣ ــ ٢٥٤ ، العسقلاني ، تهذيب التهذيب ، جـ١ ، ص ٢٢ ، الرازي ، المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٤٩

(٤) البغدادي ، تاريخ بغداد ، جـ١١ ، ص ٤١٩ ــ ٤٢٠ ، الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، جـ١٢ ، ص ٢٥٣ ــ ٢٥٥

(٥) السهمي ، تاريخ جرجان ، ص ١٦٠

أما عن التصوف ، فإنه من المعلوم بالضرورة ، أن الظروف الاقتصادية في غالب الأحيان قد تقتضي بالناس إلي الجنوح إلي الزهد والتصوف ، حيث أن كثيراً من الناس لما عز عليهم أن ينالوا ما يطلبون قللوا مطالبهم فتصوفوا وعلموا أنفسهم الزهد والورع والكبت ، فكثر التصوف جرياً على قولهم : إذا لم يكن ما تريد فأرد ما يكون(١) .

وقد وجد التصوف في أذربيجان وخرج منها متصوفون ، وكانت له دوافعه ومقاصده ، وإن كان قد ظهر في الفترات التالية لفترة البحث كعلم متكامل المناهج ويخرج متصوفين من المشاهير أمثال بشير بن حامد الصوفي(٢) وعليه فلا يمكن الاستفاضة في الحديث عن التصوف في فترة البحث لأنه لم يرتق إلي درجة التنظيم وإن كان هناك بعض المتصوفين بدليل أن الهجويري(٣) قد ذكر أبياتاً من الشعر الصوفي من إنشاء بعض صوفية أذربيجان:

والله ما طلعت شمس ولا غربت ... إلا أنت مني وقلبي ووسواسي

ولا تنفست محزوناً ولا فرحاً ... إلا وذكرك مقرون بأنفاسي

ولا جلست إلي قوم أحدثهم ... إلا وأنت حديثي بين جلاسي

ولا هممت بشرب الماء من عطش ... إلا وأنت خيال منك في الكأس

---

(١) الثعالبي ، من غاب عنه المطرب ، تحقيق د/ البدوي عبد الواحد شعلان ، ط القاهرة ، ١٩٨٤م ص ١٩ ـ ٢٠

(٢) السيوطي ، طبقات المفسرين ، تحقيق على محمد عمر ، ط القاهرة ، ١٩٧٦م ، ص ٣٩

(٣) كشف المحجوب ، جـ٢ ، دراسة وترجمة وتعليق د/ إسعاد عبد الهادي قنديل ، راجع الترجمة د/ أمين عبد الحميد بدوي ، ط القاهرة ، ١٩٧٥م / ١٣٩٥ هـ ، ص ٦٥٨ ـ ٦٥٩ .

والتصوف في أذربيجان هو اقتباس وامتداد للتصوف الإيراني المأخوذ من الدين الزرادشتي[١] فقد أكد المقدسي[٢] حقيقة وجود تصوف في أذربيجان مع أنه لم يرق إلي مستوي العلم وأوضح أن الدافع إلي التصوف هو الظروف الاقتصادية . وإذا كانت فترة البحث قد شملت متصوفين أمثال أبي بكر يزارنيان[٣] وداود الطائي[٤] إلا أن غالبية الحكماء الفلاسفة والمتصوفين الذين أخرجتهم أذربيجان لم ترد أسماؤهم إلا في فترات لاحقة على فترة البحث أمثال بهمنيار الذي اشتهر بفلسفته وأقواله الحكيمة[٥] .

علم الطب والصيدلة :

شهدت أذربيجان قديماً تقدماً ملحوظاً في الطب شأنها في ذلك شأن جميع المدن الفارسية وكان لذلك عدة أسباب وعوامل ، منها الإيمان الراسخ لدي المجوس بصفة عامة ، وسكان أذربيجان على وجه الخصوص بأهمية الطب في حياتهم ، لاعتقادهم بأن زرادشت الذي يعتبرونه نبيهم ، قد وضع لهم كتباً تحكم حياتهم ، إحداها كان في الطب ، وقد حافظوا على هذه التقاليد كابراً عن كابراً[٦] .

وعامل آخر تمثل في تعرف الولايات الفارسية لا سيما الشرقية منها على الطب اليوناني ، حيث ترجمت بعض كتبه إلي الفارسية القديمة عن طريق المراكز الثقافية

---

(١) عبد الحسين زرين كوب ، تصوف وإيران باستاني ، هنر ومردم ، فروردين ماه ، ٢٥٣٧ ، سال سانزدهم ، شماره يكصد هشتا دو ششم ، شماره ١٨٦ ، ص ١٦ – ٢٧ ، ٢٨ – ٢٩

(٢) أحسن التقاسيم ، ص ٣٧٩ .

(٣) السلمي ، طبقات الصوفية ، تحقيق نور الدين شريبه ، ط القاهرة ، ١٩٨٦ م ، ص ٦٥٨ – ٦٥٩

(٤) قاسم غني ، تاريخ التصوف الإسلامي ، ترجمة عن الفارسية صادق نشأت ، مراجعة أحمد ناجي ، محمد مصطفي ، ط القاهرة ، ١٩٧٠م ، ص ٨٥ .

(٥) البيهقي ، تاريخ حكماء الإسلام ، تحقيق ممدوح حسن محمد ، ط القاهرة ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م ، ص ١١٣ ، علي أصغر حلبي ، تاريخ فلاسفة إيراني ، از آغاز اسلام تا أمروز ، (د ب) ، ص ٣٦٥ – ٣٦٨

(٦) ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، شرح وتحقيق د/ نزار رضا ، ط بيروت ، (د ت) ، ص ٨

الفارسية التي أخذت بالعلم اليوناني وأهمها جند يسابور . كما ازدهر الطب في الولايات الفارسية عن طريق علاقاتها بالولايات الهندية (١) .

ومنذ منتصف القرن الخامس الميلادي وهي الفترة التي شهدت طهور المذهب المسيحي النسطوري ، وتعرض أتباعه للاضطهاد من قبل الإمبراطورية البيزنطية ، الأمر الذي اضطرهم إلي الفرار نحو المشرق ، وقد شجعهم الأكاسرة الفرس وعطفوا عليهم . فقاموا بإنشاء المدارس الطبية لتعليم الطب . وكانت أشهرها على الإطلاق المدرسة الطبية التي تم إنشاؤها في جند يسابور ، والتي استقطبت العدد الأكبر من هؤلاء الأطباء الفارين (٢) .

وقد وهب الله عز وجل أذربيجان منح جليلة أجلها المواد الطبية والأعشاب التي استخدمت في الطب والصيدلة . مثل عيون الماء المعدنية والتي قصدها كثير من الناس من أجل الاستشفاء ، لا سيما تلك الموجودة في أردبيل (٣) وفي مناطق جبال القوقاز (٤) وبها أعشاب طبية كثيرة (٥) .

ولما جاء الإسلام أحدث نقلة نوعية في مجال الطب والثقافة الصحية ، حيث أكد من خلال التعاليم التي وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة على الصحة العامة وصحة الفرد ، وأطلق الإسلام العلم من عقاله ، وحث الناس التداوي والتطبيب وفصل بين الطب القائم على العلم المتوارث عن معارف الأقدمين أو التجربة ، وبين السحر والكهانة ، وأقر العلاج بالنباتات والوصفات الطبية والحجامة والكي ، مما حققت فائدته

---

(١) فتحي أبو سيف ، خراسان ، ص ٢٧٦ ــ ٢٧٧

(٢) محمد محمدي ، فرهنك إيران وتأثيرات در تمدن إسلام وعرب ، ص ٢٠٨ ــ ٢٠٩ ، ٢٢٧ ــ ٢٢٩

(٣) خاتجي ، منحم العمران ، حـ١ ، ص ١٨٤

(٤) الحموي ، معجم البلدان ، مجـ١ ، ص ١٩٧ ، الكرملي ، أخبار الدول وآثار الأول ، ص ٤٤١

(٥) أفراند ، أذربيجان ، ص٦ .

Issavardin : Armenia and Armenians, P. 22 .

تحارب الأوليين ، ودعا الناس إلي طلب العلاج والتداوي ، والعناية بأبدانهم ، وذلك منذ نشأة الإسلام الأولي واستمرت رعاية الإسلام للعلم والطب(١) .

وقد رأينا على عهد رسول الله صلي الله عليه وسلم أطباء تميزوا في مجال الطب أمثال الحارث بن كلدة (٢)

وابن رمثة (٣) وبدأ يظهر أطباء ومطببون زمن الخلفاء الراشدين وبداية عصر الدولة الأموية أمثال يحيى الإسكندراني الذي كان يعالج عثمان بن عفان ومعاوية بن أبي سفيان (٤) .

وترجمت كتب الطب إلي العربية وأصبح لممارسة الطب أسس في عهد الدولة الأموية مثل مراعاة التقاليد العربية الأصيلة ، ومراعاة مبادئ الدين الإسلامي ، في إطار قوانين الشريعة الإسلامية وأخلاقيات الإسلام(٥) .

وفي العصر العباسي تقدم علم الطب تقدماً كبيراً وعمل الخلفاء العباسيون على تشجيع الأطباء ، وتأسيس المدارس الطبية والمستشفيات ، مثلما حدث مع أبو جعفر المنصور عندما أمر ببناء مستشفي كبير لتعلم الطب وزوده بمكتبة كبيرة حوت المؤلفات

---

(١) عبد العزيز مطر ، الموجزفي ، تاريخ الطب والصيدلة عند العرب ، ط الجماهيرية العربية الليبية ، (د.ت) ، ص ٢٣٧ ؛ عاتم عبد اللطيف خلف ، الصحة في صدر الإسلام ، مجلة المنهل ، العدد ٤٧٢ ؛ السنة ٥٥ ؛ المجلد ٥٥ ؛ ذو الحجة ١٤٠٩ هـ / يوليو ١٩٨٩م ، ص ١١٨ .

Fazlur Rahman, Health and Medicine in the Islamic Traditin , Hamdard Islamicus , Vol. XII, Num 1 . Spring 1989, P.101 .

(٢) الحارث بن كلدة : اصله من الطائف ، تعلم الطب وأجاده في بلاد فارس وظل يمارس الطب منذ عهد الرسول صلي الله عليه وسلم إلي عهد معاوية ، وللمزيد انظر : ابن جلجل ، طبقات الأطباء والحكماء ، تحقيق فواد سيد أحمد ، ط بيروت ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ؛ ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ص ١٦١ — ١٦٢

(٣) كان على عهد رسول الله صلي الله عليه وسلم ، وأجازه صلي الله عليه وسلم لممارسة مهنة الطب ، وإن كان قد اخذت عليه بعض الأخطاء ، انظر : ابن جلجل ، طبقات الأطباء ، ص ٥٧ — ٥٨

(٤) إسحاق بن حنين ، تاريخ الأطباء والفلاسفة ، تحقيق فواد سيد أحمد ، ط بيروت ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ص ١٦٥ .

(٥) عبد العزيز مطر ، الموجزفي تاريخ الطب والصيدلة عند العرب ، ص ٢٣٧ — ٢٣٨ ؛ قاسم عبي ، تاريخ مختصر طب اسلامي ، ياد كار ، ادماه ١٣٢٣ ، دساسيرزانويه ١٩٤٤ م ، دي الحجة ١٣٦٣ هـ ، شماره جهارم، ص ١٤ .

اليونانية والهندية والعربية وكذلك الطبية . واشتهر في زمن الخلافة العباسية أطباء مشاهير أمثال أسرة بختيشوع[١] وأصبحت تعقد الامتحانات للأطباء للإجازة للعمل بمهنة الطب وأصبح هناك إشراف على مزاولة المهنة.[٢]

ولم تكن أذربيجان بمنأى عن هذا التقدم الذي عم أرجاء الدولة الإسلامية . فقد شملها هي الأخرى التطور الذي حدث في مجال علم الطب . وكثرت أعداد الأطباء والصيادلة ومزاولي المهنة . وهذا ما أكده ابن حوقل[٣] بقوله : " وفيهم أطباء فضلاء أدراكتهم أجلاء مياسير بصناعة الطب " .

وقد ازداد أعداد الممارسين لمهنة الطب والصيدلة إلى درجة هددت هذه المهنة بالانهيار لانخراط غير ذوي الكفاءة فيها . وقد تطلب ذلك رقابة من الحكومة المركزية لتصفية هذه العناصر وتمييز الغث من الثمين . ولهذا رأينا الأفشين أثناء حرب الخرمية يستعين بالطبيب الحاذق زكريا الطيفوري في إجراء اختبار وإجازة لممارسي مهنة الطب فمن ثبت قلة خبرته أو خيانته لأمانة ممارسة المهنة ثم إقصائه منها ونفيه من المدينة تماماً[٤].

واستكمالاً لهذه التنظيمات التي أقامها الأفشين لممارسة مهنة الطب في أذربيجان فقد استقدم أطباءً وصيادلةً من العراق . أرسل بهم إليه الخليفة المعتصم وعهد إليهم إعادة

---

(١) تعتبر هذه الأسرة أشهر من مارس الطب في الدولة العباسية . وكانت لها المكانة الكبيرة والحظوة لدى الخلفاء العباسيين لبراعتهم في ممارسة مهنة الطب . انظر : ابن جلجل . المصدر السابق . ص ٦٣ ؛ القفطي . إخبار العلماء بأخبار الحكماء . ط بيروت . (د ت) ص ٧١ – ٧٢ ؛ ابن أبي أصيبعة . عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ١٨٣ ، ٢٠١ .

(٢) ابراهيم أيوب . التاريخ العباسي السياسي والحضاري . ص ٢٧٢ – ٢٧٣ ؛ قاسم غني . تاريخ مختصر طب اسلامي . يلدكار . ذي ماه ١٣٢٣ ؛ دسامبر ١٩٤٤ . زانويه ١٩٤٥ ؛ محرم . صفر ١٣٦٤ . شماره بنجم . ص ١٣ – ١٥ .

(٣) صورة الأرض . ص ٢٩٩

(٤) القفطي . اخبار العلماء بأخبار الحكماء . ص ١٢٩ . ابن ابي اصيبعة . عيون الأنباء في طبقات الأطباء . ص ٢٢٤ – ٢٢٥

ترتيب وتنظيم كيفية مزاولة المهنة وشروطها وكيفية ممارستها والشروط الواجب توافرها في ممارسيها ، وحتى يتم سد الفراغ والعجز الذي قد يمثله طرد العديد ممن ثبتت قلة خبرته أو ضعف مستواه في الطب(١) .

وقد أتت هذه التنظيمات ثمارها إذا استمر علم الطب في أردبيل على نفس النهج في التطور والتقدم حتى رأينا أطباء وصيادلة مشهودين أمثال السمؤال(٢) الذي أسهم بدور كبير في مجال الطب والصيدلة(٣) .

الفنـــون :-

كل شعب وكل أمة لها فن ، ولا تخلو أمةً أو شعب من فن أبداً ، مهما تكن درجة حضارتهما في العالم ، وهذا الفن مرآة لكفاءة هذا الشعب أو هذه الأمة فهو يعكس مقدار تذوق الإنسان للجمال ومقدار تفهمه لحاضره وتدارك حاجاته ، فالفن دليل على حضارة أمة من الأمم ، فمثلاً الأواني التي تستعملها أمة من الأمم تدل على مستوي رقيها وحضارتها والفنون دائماً وأبداً هي تعبير عن بيئة كل أمة وشعب(٤) .

ومن المعروف أن إيران كانت صاحبة السبق في فن التخزيف منذ العصر الساساني على أقل تقدير، واستمرت حتى أوائل القرن الثالث الهجري ، وخاصة في صناعة الخزف المرسوم تحت الطلاء ، وانتقل هذا الفن إلي أذربيجان ، وأصبحت ضمن مناطق إنتاج الخزف(٥) .

---

(١) القفطي ، المصدر السابق ، ص ١٢٩ ؛ ابن أبي أصيبعة ، المصدر السابق ، ص ٢٢٤ – ٢٢٥ .

(٢) السمؤال : هو يحي بن عباس المغربي ، امتاز في العلوم الرياضية والطبية ، كان يهودياً واسلم وحسن إسلامه ، ارتحل إلى كثير من البلدان وانتهى به المطاف بأذربيجان حيث أقام بها وتخصص هو وأولاده في مجال الطب وتوفى سنة ٥٧٠هـ / ١١٧٦م . انظر : ابن القفطي ، المصدر السابق ، ص ١٤٢ ؛ ابن أبي أصيبعة ، المصدر السابق ، ص ٤٧١ – ٤٧٢ .

(٣) القفطي، المصدر السابق، ص١٤٢؛ موسوعة العلوم الإسلامية والعلماء المسلمين،ط القاهرة، (د ت) ، ص ١١٠

(٤) محمد فرج العش ، روائع الفن الإسلامي ، من آثار الفكر ، حوليات كلية التربية ، جامعة قطر ، الموسم الثقافي الأول ، ١٩٧٥م ؛ ١٣٩٥هـ ، ص ٤١ ؛ محمد أبو المحاسن عصفور ، بين الفنون والبيئة في كل من مصر والعراق في عصورها القديمة ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ، العدد ٢١ ، ١٩٦٧م ، ص ٢٢٥

(٥) سعاد ماهر محمد ، الفنون الإسلامية ، ص ١٩ ، ٢٥ .

وقد حازت أذربيجان شهرة كبيرة في إنتاج الخزف لا سيما الفسيفساء الخزفية ، والتي تمتاز بأنها تغلب عليها الزخارف النباتية المزهرة(١) .

وامتازت قرية كويجي في جبال القوقاز بإنتاج أنواع من الخزف ، الأول منها صحون وسلطانيات زخارفها سوداء منقوشة تحت دهان أزرق أو أخضر ، والثاني صحون وسلطانيات زخارفها متعددة الألوان منقوشة تحت دهان شفاف أبيض ، أو لا لون له ، وقد كان الناس يقدرون القيمة الفنية لهذه لقطع الفنية ، فكانوا يحتفظون بها كقطع فنية في بيوتهم ويعلقونها على الجدران ويزينون بها الغرف(٢) .

وهناك الزخارف الفنية التي اشتملت على رسوم الحيوانات والطيور والتي عملت بطريقة بسيطة ، وإن كانت تتميز بحركة قوية (٣) .

وقد شاع في العالم الإسلامي وعلى نطاق واسع تقليد الخزف الصيني ، وأصابوا فيه توفيقاً كبيراً ، حتى لقد يصعب في بعض الأحيان أن يتم التمييز لأول وهلة القطعة الصينية الأصلية من تلك التي صنعت تقليداً لها على يد الصناع المسلمين(٤) واشتهرت أذربيجان بالتجارة في عدد من أنواع الخزف الصيني وانتقلت إليها هذه الصناعة عبر التجارة في هذه الأنواع(٥) .

أما عن الفخار فقد وجد في أذربيجان منذ القرون القديمة ، ومنذ العصر البرونزي واشتهرت ليس بصناعته فقط بل وتصديره إلي كرمان وخراسان(٦) .

وقد استخدمت الزخارف في العمارة لا سيما في المساجد الموجودة في أذربيجان(٧)

---

(١) ديماند ، الفنون الإسلامية ، ص ٢١٣ ـ ٢١٤

(٢) زكي محمد حسن ، فنون الإسلام ، ص ٣٠٦ ـ ٣٠٧

(٣) أبو صالح الألفي ، الفن الإسلامي ، أصوله وفلسفته ومدارسه ، ط القاهرة (د ت) ، ص ٢٦٥

(٤) زكي محمد حسن ، الصين وفنون الإسلام ، ص ٣٤ ـ ٣٥

(٥) زكي محمد حسن ، الفنون الإيرانية في العصر الإسلامي ، ط القاهرة ، ١٩٤٠م ، ص ٢٠٨

(6) The Cambridge Ancient History, Third edition, volum 2 , Part 1 cambridge, P. 687

(٧) ول ديورنت ، قصة الحضارة ، جـ٧ ، ص ٢٤٥ ـ ٢٤٦

وبصفه عامه اشتهرت أذربيجان بصناعة الخزف ، وازدادت شهرتها بداية من العصور اللاحقة لفترة البحث ، لا سيما منذ العصر الصفوي ، وهذا دليل على وجودها في أذربيجان كأساس قامت عليه هذه الصناعة ويؤكد وجود سابق خبرة ومعرفة به(١) .

وقد وجدت في أذربيجان صناعة نسيجية كبيرة لا سيما الحريرية منها لوجود المواد الخام لقيام هذه الصناعة(٢) وانتقلت إليها حرفية الصنعة من بلاد فارس منذ العصر الساساني ، حيث اشتهرت بصناعة الأقمشة الحريرية المزركشة بخيوط الذهب والفضة والمعروفة باسم الديباج ، وملابس الأمراء والملوك المنسوجة من الحرير ومطرزة بخيوط الذهب والفضة ومرصعة بالأحجار الكريمة(٣) .

وما تمتاز به أذربيجان صناعة المنسوجات ذات الخيوط الذهبية المأخوذة من الصين والتي تعرف باسم كيمكا Kimikha (٤) وفي غالب الأحيان كانت هذه الأنسجة والأقمشة ترسم عليها بعض الصور(٥) .

ولأذربيجان شهرة كبيرة في صناعة البسط ذات الرسوم الحيوانية ، وتعتبر هي موطن البسط المسماة التنين أو البسط الأرمينية (٦) .

---

(١) سعاد ماهر محمد ، الفنون الإسلامية ، ص ٣٧ ؛ ديماند ، الفنون الإسلامية ، ص ٢١٣ ـ ٢١٤ .
(٢) ماركوبولو ، رحلات ماركوبولو ، جـ١ ، ص ٥٣ ، لي استرنج ، بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٢١٢ ؛ رمزية الخيرو ، الفتوحات العربية والإسلامية ، ص ٣٥٦
Issavardin : Armenia and Armenians, P. 21 .
(٣) سعاد ماهر محمد ، المرجع السابق ، ص ٨٧
(٤) سعاد ماهر محمد ، نفس المرجع ، ص ٩٠ ، ٩٤
(٥) زكي محمد حسن ، فنون الإسلام ، ص ٣٧٧ ـ ٣٧٨
(٦) سعاد ماهر محمد ، المرجع السابق ، ص ١٩٢ ؛ ديماند ، المرجع السابق ، ص ٢٨٠

أما عن صناعة السجاد فتعتمد صناعته في الأساس على المواد الخام المحلية التي تصنع منها ، وفي مقدمتها الصوف المميز الموجود في أذربيجان بكثرة(١)

وقد تنوافرت عوامل عدة لنجاح هذه الصناعة ، وفي مقدمتها الصوف ، والمناخ المناسب ، فالمناطق الجبلية الباردة تنتج أفضل الأنواع من الصوف والذي يتميز بلمعانه وبريقه ، ولذلك اشتهرت عدد من المدن والقرى في أذربيجان بإنتاج الصوف لا سيما المناطق الجبلية منها(٢) ويلي الصوف من حيث الأهمية القطن بالنسبة لصناعة السجاد فيستخدم في اللحمة والسدى وكذلك في الويرة الناصعة البياض(٣) وقد زرع القطن بكثرة في أذربيجان(٤) .

وقد توافرت الألوان الطبيعية اللازمة لصناعة السجاد في أذربيجان لا سيما مناطقها الجبلية ، مثل الزعفران الذي يعطي اللون الأصفر ، والنيلة التي تعطي اللون الأزرق وشجر الجوز الذي يعطي اللون البني ، والبلوط الذي يعطي اللون الأسود والبليحاء الذي يعطي اللون الأصفر الفاتح ، والرمان الذي يعطي اللون الأصفر بطلال مختلفة ونبات الفوة التي تعطي اللون الأحمر ، وكلها كانت تنمو في بلاد القوقاز وقد تصدر إلي الخارج(٥) .

وقد انتشرت صناعة السجاد بأنواعه المختلفة في أذربيجان(٦) وأشهر أنواع السجاد ، سجاد التنين ، المنسوب إلي مناطق أذربيجان الجبلية ، وقوام الرسوم التي توجد عليه رسوم معينات من أوراق الشجر الكبيرة والمحورة عن الطبيعة ، كما تتضمن رسوماً

---

(١) الزبيدي ، تاج العروس ، جـ٢ ، ص ١٥ .
(٢) سعاد ماهر محمد ، الفن الإسلامي ، ص ١٧٥
(٣) سعاد ماهر محمد ، نفس المرجع ، ص ١٧٥ – ١٧٦
(٤) خاتجي ، منجم العمران ، جـ١ ، ص ١٨٤
(٥) حسن محمد نور ، السجاد القوقازي ، ص ٤١ .
(٦) سعاد ماهر محمد ، المرجع السابق ، ص ١٨٠ .

نباتية ومراوح تخيلية ورسوم حيوانات خرافيه محورة عن الطبيعة(١) ومنها أنواع تمتاز بألوانها البراقة الفاقعة ووحداتها الزخرفية الكبيرة المرسومة بأسلوب هندسي ، وهو سجاد سميك وألوانه يسودها اللونان الأحمر والأزرق ، والإطار زيدي اللون غالباً ومساحاتها صغيرة(٢) .

وامتازت مدن أذربيجان بصناعة سجاجيد الصلاة ، وأهم ما يميز هذا السجاد باحتوائه على آيات قرآنية مكتوبة بخط النسخ أو الكوفي ، وتحتوي هذه السجاجيد على خيوط معدنية منسوجة بطريقة الديباج ، ويلاحظ أن الزخارف النباتية في ساحة السجاد موضوعة بشكل معين على هيئة محراب(٣) .

ومن أنواع السجاجيد الأخرى التي وجدت في أذربيجان السجاجيد ذات الصرة أو الجامة وتتكون من صرة أو جامة ترسم في وسط السجادة وتكون العنصر الرئيسي الواضح ، وقد يتدلى من أعلى أو أسفل الصرة إناء على شكل مشكاة أو زهرية(٤) .

أما السجاد الوبري المعقود ، فقد تأصلت صناعته في مناطق جبال القوقاز اعتماداً على توفر مادة الصوف الضرورية لهذه الصناعة ، هذا بالإضافة إلي طبيعة البيئة القارصة البرد شتاءً التي تحتاجها مثل هذه المنسوجات الوبرية السميكة(٥) .

أما بالنسبة للفنون المعمارية في أذربيجان فقد تأثرت هي الأخرى بالفنون الساسانية التي سادت قبل الفتح الإسلامي لأذربيجان ، وامتدت إلي العصور الإسلامية محل البحث والفترات اللاحقة(٦) فالمساجد بصفة عامة لها نظام لا تخرج عنه مستمدة في

---

(١) زكي محمد حسن : فنون الإسلام ، ص ٤٣١ .
(٢) سعاد ماهر محمد ، الفنون الإسلامية ، ص ١٨٠ ـ ١٨١ .
(٣) سعاد ماهر محمد ، نفس المرجع ، ص ١٨٢ ، ويماند ، الفنون الإسلامية ، ص ٢٨٤ .
(٤) زكي محمد حسن ، فنون الإسلام ، ص ٤٠٢
(٥) سعاد ماهر محمد ، المرجع السابق ، ص ١٦٩
(٦) حسن أحمد محمود، العالم الإسلامي ، ص ٨٨ ، أبو صالح الألفي، الفن الإسلامي ، ص ٤٧ ـ ٤٨ ، علي سامي ، هم بستكي مكتب هنري شيرازو تبريز ، ص ٢ .

أساسها من المسجد الأول الذي أقامه النبي محمد صلي الله عليه وسلم . ولمعظم المساجد جزء وسط يسمي صحناً وهو سماوي وفي الغالب تحيط به أروقه بها دوائر أكبرها رواق القبلة ، وفيه المحراب ، وعلى يمينه المنبر . ويحمل السقف عقود تقوم على أعمدة من الرخام أو الحجر أو أكتاف من البناء(١) .

ومن الممكن أن تكون مساجد أذربيجان التي أقيمت لا تخرج عن النطاق العام للمساجد في أذربيجان والذي يمثله الجامع الأزرق في تبريز الذي يتكون من قاعة كبرى في وسطه عليها قبة ، وحولها قاعات أصغر حجماً وعلى كل منها قبة أقل ارتفاع ، وقد زين المسجد بفسيفساء من الخزف وفيها اللون الأزرق الناصع(٢) ويمكن أن تضاء المساجد لياً بالقناديل التعينة ، والتي تعلق في سلاسل حديدية وذلك منذ الغروب إلي ما بعد صلاة العشاء(٣) .

أما عن الأضرحة التي تسمي أيضاً قبة أو تربة وهو البناء الذي يقام على رفات ولي أو حاكم أو نحوهما ، ويوضع فوق القبر تركيبة من الخشب المنقوش أو من الرخام أو الحجر وغالب الأمر كانت الأضرحة على شكل قبة أو أبراج أسطوانية ذات سقف مخروطي ، وكثيراً ما لحقت الأضرحة بالمساجد التي أقامها منشئ الضريح ، وقد تطورت الأضرحة في أردبيل حتى رأينا أروعها ضريح وجامع الشيخ صفي الدين الصفوي بأردبيل ويتألف هذا الضريح من مدخل تكية حديقة مستطيلة توصل إلي المباني التي تحيط بفناء داخلي يقع إلي سدرة الجامع القديم وهو مثمن الشكل فيه ستة عشر عموداً من الخشب ولا محراب له وإنما تقع القبلة في اتجاه مدخله ، وإلي اليمين الضريح ويجواره بهو من الأجر وبه المقرنصات وزخارف الفسيفساء(٤) .

---

(١) أبو صالح الألفي ، الفن الإسلامي،ص ١١٢١ مصطفي عبد الله شيحة ، مدخل الي العمارة الإسلامية،ص١٣- ١٤

(٢) زكي محمد حسن ، فنون الاسلام ، ص ١٠٤ ـ ١٠٥

(٣) محمد ابراهيم الصنعي ، الفن والعمارة عند العرب ، ص ٢٤

(٤) زكي محمد حسن ، فنون الإسلام ، ص ١٠٢ ، ١٢٤ ـ ١٢٥ ؛ بوشين بيسي ، نسخه خاي محفوظ استانه شيخ صفي الدين ، هنر وسردم ، خرداد ماه ، ١٣٥٤ هـ ش ، شماره سد وسحاد دوم ، ص ٤١

أما بالنسبة للتصوير الفني في أذربيجان فقد تأثر بالأسلوب الزرادشتي والمانوي في التصوير. إذ وضع الزرادشتيون صورة خطيئة آدم وخروجه من الجنة. وتصور الشيطان على هيئة رجل عجوز وهو يقنع آدم وحواء لأكل الفاكهة المحرمة. وقد استقى المانويون هذه الفكرة من الزرادشتية. وحاكوها. وقد احتفظت هذه الصورة في بداية كتاب جامع التواريخ(١).

أما الخط العربي كفن من الفنون. فقد مر بمراحل كثيرة وتطور تطوراً كبيراً وكانت له المكانة المميزة(٢).

وقد ساعد على الاهتمام بالخط العربي ومحاولات تطويره قضايا نشر اللغة العربية في الأقطار المفتوحة ومحاولات نشر الإسلام بها. وحركة تعريب الدواوين. ونسخ القرآن الكريم(٣).

والعناية بجودة الخط أمر طبيعي في الإسلام. وكان الخطاطون أعظم الفنانين مكانة في العالم الإسلامي عامة. ولاشتغالهم بكتابة المصاحف ونسخ كتب الأدب والشعر ولذا تقدم فن تحسين الخط فأقبل الأمراء على شراء المخطوطات الكاملة. أو النماذج من كتابات الخطاطين المشهورين وأكثر هذه النماذج الآيات القرآنية والأدعية وأبيات الشعر(٤).

---

(١) ثروت عكاشة. التصوير الفارسي والتركي (د م). ١٩٨٣م. ص ٣٩ ـ ٤٠.

(٢) فتحي أنور الدابولي. الكتابة العربية وتاريخها. مجلة المنهل. العدد ٤١٦. السنة ٥٤. المجلد ٤٩. فبراير ومارس. ١٩٨٨م. ص ٢٣ ـ ٢٥

(٣) حاجي ميرزا عبد المحمد خان. بيدايش خط وخطاطين. تهران. ١٣٤٥هـ / ١٩٢٧م. ص ٦٣. محي الدين صابر. قضايا نشر اللغة العربية الإسلامية في الخارج. مجلة اللسان العربي. العدد العشرون. ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م. ص ٩. محمد عبد العزيز. القيم الجمالية في الخط العربي. مجلة العصور. المجلد الأول. جـ ١. يناير ١٩٨٦. ص ٦١

(٤) زكي محمد حسن. فنون الإسلام. ص ١٥٦

واستخدم المسلمون الخط الكوفي في معظم الأحيان ولا سيما في نسخ القرآن الكريم إلي أن حل محله خط النسخ ، وهو من الخصائص المميزة للفن الإسلامي ، وكثر استخدامه على الجدران والأقمشة واللوحات والأواني[١] وبلغ من اهتمام مدن أذربيجان المختلفة ومنها أردبيل بالخطوط أن غدت عاصمة للخطاطين وخرج منها أروع القطع الفنية[٢] وظل الاهتمام بالخط كفن وأقيمت له المراكز الفنية لتطوير الخطوط في فترات لاحقة لفترة البحث[٣].

وارتبط بفن الخط فنون أخرى مثل التذهيب الذي ظهر في العصر العباسي ، حيث يتم زخرفة وتذهيب المصاحف ، ويتم بطرق ونظم ذات تأثير ساساني ، ويتم زخرفة وتحلية صفحات المصاحف باللون الذهبي[٤] وقد حازت مدن أذربيجان المختلفة شرف السبق في هذا المجال[٥].

كما انتشرت صناعة تجليد الكتب والمخطوطات ، وأقيمت لها المراكز في أذربيجان وفي عدد من مدنها الرئيسية ومنها أردبيل ، وأصابت أبعد حدود الإتقان والتوفيق في الخروج على الأساليب الهندسية القديمة وفي الزخرفة ، وابتدعوا تركيب الزخارف من المناظر الطبيعية ذات الحيوانات والطيور الحقيقية والخرافية ووصلوا إلي الإتقان في دقة الرسم وأسلوب الصناعة[٦].

---

(١) نعمت اسماعيل علام ، فنون الشرق الأوسط في العصور الإسلامية ، ط القاهرة ، (د.ت) ، ص ٥٧ ، محمد ابراهيم الصبحي ، الفن والعمارة ، ص ١٧ ، حاجي مرزا عبد المحمد حائر ، بيدايش خط وخطاطين ، ص ٥٤

(٢) زكي محمد حسن ، الفنون الايرانية في العصر الاسلامي ، ص ٣٧

(٣) زكي محمد حسن ، نفس المرجع ، ص ١١١

(٤) نعمت اسماعيل ، المرجع السابق ، ص ٥٧ ، زكي محمد حسن ، الفنون الايرانية في العصر الإسلامي ، ص ٤٠

(٥) ديماند ، الفنون الاسلامية ، ص ٨٠ ـ ٨١

(٦) زكي محمد حسن ، الفنون الإيرانية في العصر الإسلامي ، ص ١٣٤ ـ ١٣٥